

على احمد ذباكير

همام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



هَمَّام
فى بلاد الأحقاف

هَمَامٌ فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

مَسْرُوحِيَّةٌ شَعْرِيَّةٌ

نَظْمٌ

عَلَى أَحْمَدَ الْبَلْبَلِشِيِّ

الْقَائِمُ

مَكْتَبَةُ مَصْبُورٍ
٣ شارع كامل صدقي - البغداد

مُقدِّمة المؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية
محضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ،
كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط
الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحاً
إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها
وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته
على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوجاه من
خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصدير

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدراما الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفقا
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكفاف ، ولهذه
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدراما .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان نائراً على حالة وطنه
الراهنه ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في
الإصلاح .

تلمح في درامته صوراً سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقتصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تنزع الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدراما صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

ويا الله ذو الحِـبـو ة والأردية الخـضـر
وذو المسواك في العمـة قد أربى على الشـير
ورب السبحة الغارق في التسبيح والذكر
بها يذكر في الناس ولا يذكر في السر

يرجع ناظم هذه الدراما جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكاتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شاباً مجدداً يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عتاً ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :
صاحبات الزمان نحنُ حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه
ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة
تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ،
ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة
الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف - بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه - لم يزل
يرفق ببينته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالأفاز فرينة إلى روح الشعب ،
فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سحق الساططين وحنقهم . وله الحق في
ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الأفاز لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما ختمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ
أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين
يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة
ما تمثلي به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر
وتحقيق الأمانى .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ - ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى
إليّ !
وإلى الشعب الخضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول .
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	: مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	: العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:
همام	- بطل الرواية
حُسن	- حبيبة همام
محمد	- صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	- نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	- أخت همام
خديجة	- أم حُسن
شهاب	- عم حُسن ووكيل أبيها
ولي الله	- خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	- صديق محمد
الأمير أمجد	- أمير البلاد
بكر	- غني يطلب يد حُسن

جماعة من الأدباء		أحمد
		عقيل
		ابن عيسى
		عبد الله المغني
بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل	—	عامر
أخوات عامر البدوي		ناهيمة
		سعدى
		لبنى
رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات	—	نكرات مسرحية

الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مقروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المقروش من الغرفة متمدداً واهي الأركان ، ينن أنيناً حقياً يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

المشهد الأول

زهراء : أخي ما بك اليوم ؟ إنني أراك قليل النشاط كثير الضجر
أأنت مريضٌ وقيت الشُّرو ر ، وبلغك الله ضول العُمر

هُمام : أى إن بي مرضاً في الفؤاد يا زهرٌ يُنبِرنِي بالخُطر
ولا تجهلين ماذا بصينو كِ مما بدا منه أو ما امتتر
فماذا وراءك ؟ هل من جديد قد يخفف من وجدي المستعير ؟

زهراء : أخي لا تحف في الهوى أن تخيب سب ؛ وهل يجهل الناس فضل القمر ؟
ولا تجعلن ليأس إليك سيلا فقي اليأس فوت الوطر
أيأسٌ مثلك وهو الرجيح في الكف الشائلات الأخر ؟
فأحرى بغيرك أن يستريح إلى اليأس . لا بد أن تتصير
كأنني بحسن تزف إليك عروساً تلم ذبول الخفر
تحيط بها الغانيات الحسا ن كالدر بين النجوم الزهر

كَأَنِّي بِأَيَاتِنَا قَدْ غَدْتُ تُصَفِّقُ بِالْفَرَحِ الْمَزْدَهَرِ
وَأَنْتِ عَرُوسٌ تُحَيِّي الْوَفُو دَ وَتُخَطِّرِينَ صَفُوفَ الزُّمَرِ

هُمَام : أَزْهَرَاءُ لَا عَدَمَتُكَ الدِّيَا رُ ، حَدِيثُكَ يَقْشَعُ عَنِي الْكَدْرَ
لَأَنْتِ الْعِزَاءُ إِذَا مَا أَتَيْتِ وَأَنْتِ الْهِنَاءُ وَأَنْتِ الْخَبَرُ^(١)
فَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ أَمَا تَقْرئين ؟

زَهْرَاءُ : بَلَى ! ذَا الْكِتَابِ مَعِيَ قَدْ حَضَرَ
كِتَابُ كَرِيمٍ خَلِيقَ بِهِ بِأَنْ يَكْبُوهَ بِنُورِ الْبَصَرِ
« بُلُوغُ الْمَرَامِ » وَ« سُبُلُ السَّلَامِ » عَلَيْهِ تُحَجَّلُ مِنْهُ الْغُرَرُ
أَحَادِيثُ طَهٍ وَآيُ الْكِتَابِ ب تَلَأَلُوْا فِيهَا خِلَالَ السَّطَرِ
وَأَقْوَالُ مُجْتَهِدِي الصَّحْبِ وَالْأَثَمِ مِ مِنْ كُلِّ جَبْرِ أَبْر
فَيَأْخُذُ مِنْهَا الْفَتَى مَا صَفَا وَيَتْرَكُ مِنْهَا الْفَتَى مَا كَدَّرُ
وَمَنْ لَا ذَمٍّ بَعْدَهَا بِالْهَوَى فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ

« يَتَبَسَّمُ هُمَامٌ إِعْجَابًا بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِصْلَاحِيَةِ الَّتِي وَفَّقَ
لِبِدْرِهَا فِي نَفْسِ أُخْتِهِ . وَتَعْرِفُ هِيَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ
تَسْلِيَةً لَهُ وَتَهْدِئَةً لِأَفْكَارِهِ الْمُضْطَرَّةِ فَتَطْرُدُ فِي حَدِيثِهَا » :

فَلَا سَلِمَتْ كُتُبُ الْجَامِدِينَ وَلَا فَازَ قَارِئُهَا بِالْوُطْرِ
صَحَائِفُ لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا يَجُولُ بِهَا ذَكَرٌ خَيْرَ الْبَشَرِ
يُصَوِّرُ فِيهَا مُحَالَ الْأُمُورِ ، وَيَتْرَكُ فِيهَا مُهِمُّ الصُّورِ !
فَتَلُكُ الْجَوَاهِرُ أَيْنَ الرَّمَا لُ مِنْهَا وَأَيْنَ خَسِيسُ الْحَجَرِ ؟

« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فقراً فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تنشرى هـ	هذا الهدى فى جماعة النسوان
فهدى الشعب من هدى أمهم	ات الشعب فى كل موطن وزمان
وبنات الأحقاف أولى بأن يحذف	من شتى العلوم والعرفان
وبأن يظهرن من لؤ	ث الأوهام مما يخل بالإيمان
فيرين الحياة من غير معنى	غير تلك الحياة وهى معانى !
زهرء : لتطب يا همام نفساً فما تر	جو سأسعى فيه بغير توان
ولقد سررتنى استماع صديقا	تى لقولى وقدرهن مكانى
همام : بارك الله فى الصغار ففیهن	قبول للحق إما دُعينا
إنما الشر فى العجائز يحمّد	ن جمود الحصى فلا يهتدينا !
زهرء : نحن بالأمس ثلّة ضمنا مجلس	عُرس فى بيت جار أيننا
ولدينا شريفة جمعت حسناً	ولطفاً جمّاً وعقلاً رصينا
سمعتنى - ولست أعرفها - أَل	قى على الحاضرات درساً مبينا
سقت من أخبار الشهيرات فى	الإسلام ما ردهن لى يُصغينا
تساقهن الحديث عن سيدات	فكن بعض الرجال علما ودينا
ثم حرّضتهن أن يتشسبن	بتلك الشמוש أو يقتدينا
قلت ليس الرجال أولى بكس	ب العلم منا فإننا مُستورنا
ومن العلم ما يُعرفنا الدين	ومنه ما سدّ فإننا مُستورنا
وأهم الأمور تربية الأور	لاد كى ينشأوا من العاملينا
صاحبات الزمان نحن ! حياة الن	ناس فيه والموت فى أيدينا !
إن نشأ فالورى بنا سعداء	وشقاء حياتهم إن شينا

فعلينا لرئنا واجبات ليس نرا من إثمها ما بقينا
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نؤدي أمانة الله فينا ؟
صحن في أسمع الرجال : أليس العلم فرضاً على النساء مبينا ؟
فيم غادرتم البنات على جهل وقمتن تعلمون البنينا ؟
هل أقمتن مدارساً للواتي إذ أقمتن مدارساً للذينا ؟

* * *

فتدنت تلك الشريفة مني وحبتي من الثناء فنونا
ثم قالت : عمن تلقيت هذا ؟ قلت عن صيوي الذي تعرفينا
عن همام . قالت همام أضحي بحسن بين الوري مفتونا ؟
والذي يذكرون عنه ابتداءً بمس هذا الوري وما يفترونا !
إنني قد أنست من قولك السا لفروحا فيأضة ويقينا
فتساءلت من يكون الذي لقى من هذي الهدى تلقينا ؟
فذكرت امرأ جعلت فدا ه دون ما عابه به اجاهلونا !
ليتني أستطيع أن ألقى عنه ه شيئاً ! أني لذا أن يكونا
قلت : نفسي فداك يا ابنة طه أنتم آل بيته الأكرمونا
ليس بدعاً أن تنصروا سنة الهادي بنصرها قموننا
إنما البدع أن يكون بنو المخ ستار عن هديه من الناكينا !
غير أن ما رأيت مثلك في نسوة «سيوون» تعشق المصلحينا
إن سرّاً في الأمر يحسن لو أد ريه ، قالت يسرني أن يينا
نحن من بيت سادة يكره الدخ مل ويأبى من الأمور الدونا

جدُّنا الأكبر الشريف « عَقِيل »

سَنَ نَهَجَ الْهَدَى لَنَا مَا حِينَا
عِنْدَنَا مِنْ آثَارِهِ « سَيْفُهُ الْمَسْلُوكُ
لِ » يَفْرِي أَوْهَامَهُمْ وَالظُّنُونَا

* * *

بلغني عني السلام همامًا ورجائي إياه في الناجحينا
وغدًا نلتقي وخرسك الرحم من قلت الرحمن يقيقك فينا
همام : بارك الله فيك ! هذى فتاة من سليل الأفاضل الأظهرينا
جلُّها كان في الحجاز منارًا للمعالي يؤمُّه الطالبونا
ذُبَّ عَنْ سَنَةِ النَّبِيِّ وَلَا قَى من بني قومه أذى وفنونا
رَبِّ آمَنْتُ بِالْوِزْرَانَةِ ! أَنْتَ الله أرسلتها لنا قاتونا
هذه روح جلُّها ، ربُّ وفَّق لها وآزر بسعيها الناهضينا
« يلتفت إلى زهراء مسائلًا » :

أَلَدِيهَا زَوْجٌ ؟

زهراء : قضى زوجها النحر صب صغيرًا لم يبلغ العشرين !
وقضى قبل زوجها أبواها فهي ثكلى تعيش عيشًا حزينا
خبرني عنها سعيدة إذ كانت قد استُخْدِمَتْ لديهم سنينا
همام : مَنْ يَلِيهَا إِذَنْ ؟

زهراء : شقيق أيه عاها رغم كونه مسكيننا
همام : ذَكَّرْنَا لَكِي نَوَاسِيَهُ الْقَيْدِ نة بعد الأخرى .

زهراء : أصبت قمينا

همام : لم تجد بعد زوجها خاطبًا ؟
 زهراء : لا .
 همام : أو ليست حُسنا كما تذكرينا ؟
 زهراء : بل هي الحُسن كله - عَلِمَ اللهُ - متاع الرائيين والسامعينا !
 همام : غير أن الشَّبابَ في هذه الأنعاء بالحسن ليس يَحْتَفِلُونَا
 إنما ينظرون للمال فالما ل هو الزوجةُ التي يَحْطَبُونَا
 وَيُرَوْنَ الكمالَ في ذات أم لا يُرى زوجُ بنتها مغبونا
 تتوخى رضاهُ في كل حين فترىه من الطعام فنونا
 فكأن لم يكن لديهم من الحبِّ سوى ما يسدُّ منهم بطونا

المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية
 وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشهدوا التلامذة
 ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .
 التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون
 بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إنسى لكم ناصحَ يصفىكم النصيحَ أمين
 لبناتُ الشعب أنتم فليكن كلها من ذلك الصَّلب المتين
 إنَّ برنامجَ تدريسيكم ليس برنامج قوم مرتقين

تُرهِقُونَ النَشَاءَ بِالْحِفْظِ فَمِنْ حِفْظِ تَقْرِيرٍ إِلَى حِفْظِ مَتُونٍ
 لَيْسَ فِي ذَاكُمُ لَهْمٌ مِنْ صَالِحٍ إِنَّهُ يَقْتُلُ فَهْمَ النَّاشِئِينَ
 فَدَعُوا الْخَشَوَ وَرَبُّوا فِيهِمْ مَلَكَاتِ الْحَذَقِ فِي كُلِّ الْفَنُونِ
 اسْتَقُوا التَّوْحِيدَ مِنْ يَتْبُوعِهِ وَانْبِذُوا كُتُبَ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِينَ
 لَا تَزِيدُ النَّفْسَ إِلَّا حَيْرَةً لَا كَأَسْلُوبِ الْكِتَابِ الْمُسْتَبِينِ
 لَمْ تَوْلَفْ لَكُمْ هَاتِيكَ ، بَلْ أَلْفُوهَا لِحِجَاجِ الْمُلْحِدِينَ
 وَاقْصِدُوا فِي الْفَقْهِ لَا يَأْخُذْكُمْ لَيْسَ فِي الْفَقْهِ غَذَاءُ النَّاهِضِينَ !!

« أَحَدُ الشُّيُوخِ يَقُومُ وَيَحَاوِلُ تَسْكِيَتَ هَمَامٍ وَيَصِيحُ » :

يَا عِبَادَ اللَّهِ ! هَذَا مَارِقٌ يَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ
 أَسْكُوهُ أَسْكُوهُ ! إِنَّهُ يَا عِبَادَ اللَّهِ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ
 شَيْخٌ آخَرُ : هَذَا وَهَابِيٌّ !

ثَالِثٌ : هَذَا مُعْتَرِظِيٌّ !

رَابِعٌ : سَلُّوْا فَااه

خَامِسٌ : لَا تَدْعُوهُ يَغْوِي النَّاسَ !

سَادِسٌ : هَذَا مَا كُنَّا نَخْشَاهُ !

« هَمَامٌ رَافِعًا صَوْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْغَضَبِ » :

أَنَا لَا أَصْغِي لِتَسْكِيَتِ امْرِئٍ أَنَا لَا أَخْشَى صِيَاحَ الصَّائِحِينَ
 خَطْبَتِي لَا بَدَّ مِنْ إِتْمَامِهَا

شَيْخٌ مَتَنُورٌ : أَتَمُّمُ الْخُطْبَةَ إِنَّا سَامِعُونَ

لَا تُبَلِّ ؛ مَنْ رَامَ أَنْ يَقْطَعَهَا فَلْيَقُمْ إِنْ شَاءَ فِي الْمُنْصَرَفِينَ

همام : أَنَا لَمْ أَذْغُ إِلَى غَيْرِ الْهُدَى وَإِلَى غَيْرِ نَهْوضِ الْمُسْلِمِينَ
أَنْقَمْتُمْ دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى سُنَّةِ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ
« مُلْتَمِثًا إِلَى الشَّبَابِ »

اسمعوني يا شبابَ الحَيِّ ، لا يُقْصِصْكُمْ عَنِّي مَقَالُ الْجَامِلِينَ !
... .. ليس في الفقه غِذاءُ النَّاهِضِينَ !
أَقْرَأْ وَافَقَهُ حَدِيثُ الْمُصْطَفَى تَعَبَرُوا الشُّكَّ إِلَى بَرْدِ الْيَقِينِ
لا تَهَابُوا الْيَوْمَ أَنْ تَجْتَهَلُوا إِنْ سَرَّ الْعِلْمَ لِلْمُجْتَهِدِينَ !!
وَكِتَابُ اللَّهِ بَاقٍ خَالِدٌ تَنْجَلِي آيَاتِهِ فِي كُلِّ حِينٍ
ادرسوه درسَ أَحْيَاءٍ وَلَا تَدْرُسُوهُ دَرْسَ قَوْمٍ مَيِّتِينَ
ادرسوه وَفَقَّ نَهْجَ خَطِّهِ (مُصْلِحُ الْإِسْلَامِ^(١)) ذُو الْفَضْلِ الْمُبِينِ
إِنَّهُ يَشْعِلُ فِي أَنْفُسِكُمْ جَنُورَةَ الدِّينِ وَعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّهُ يَبْعَثُ فِي أَرْوَاحِكُمْ قُوَّةً هَائِلَةً لَا تَسْتَكِينُ
فَتَحَ الدُّنْيَا بِهَا أَسْلَافَنَا مِنْ رَبِّي الْغَرْبَ إِلَى السُّورِ الْمَكِينِ
وَأَضَعْنَاهَا فَهْنًا بَعْلَهَا وَغَلَبُونَا مُضْغَةً لِلْأَكْلِينَ
لَيْسَتْ الْأَخْلَاقُ لَيْنًا فِي الْخَطِيءِ وَخُضُوعًا هُوَ لِلنَّفْسِ مَهِينِ
إِنَّمَا الْأَخْلَاقُ أَنْ لَا تُبْطِنُوا غَيْرَ مَا لِلنَّاسِ أَنْتُمْ تَظْهَرُونَ
إِنَّمَا الْأَخْلَاقُ أَنْ لَا تَتْرَكُوا نَصْرَةَ الْحَقِّ لِلَّوْمِ اللَّامِينَ
رَفَعَ الْإِسْلَامُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَارْفَعُوهَا عَنْ دَعَاءِ الْمُقْبَرِينَ
لَا تَذَلُّوا لِسِوَى اللَّهِ ، وَلَا تَخْضَعُوا إِلَّا لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لَلَّهِ مَا أَفْصَحَهُ !

الآخر : والحق — والله — معَه !
الأول : لكن هؤلاء لا ييغنوننا أن نسلم معه
الثاني : أقواله مؤلدة هؤلاء موجعه
الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعه
همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قوم لقوم حاقرين
فالمساواة على أعْدَلِها ميزة الإسلام عند الباحثين !
وأخو الحق إذا لم يُعْطَ أخذ الحق انتهاباً باليمين

* * *

المشهد الثالث

« بهو كبير — في دار أحد أدباء البلد — مفروش بالبسط
الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانها برسوم فنية جميلة
للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدباء
في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .
أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها
أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصلقائي

مسئيت بالخير والهناء

الحاضرون :

أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يذم فينا أبا العلاء
 همام : في الدين أو في البيان ؟
 أحمد : بل في كل الشؤون على السواء
 همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بد من العدل في القضاء
 « ملتفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد : إنني أراه في الأتقياء
 همام : كلا كما قد غلا ، فهذا ذم ، وذا لسج في الثناء
 بل هو في شعره إمام جلد نهجاً للشعراء
 لكنه كان في أرتياب من دين مولاه واميراء
 فقال ما قال غير خاش ولا مداح ولا مُراء
 وممكن أنه حطبي في أخرى لياليه باهتداء
 فرب شك أفضى بمولا ه - بعد ما حار - للجلاء
 « تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأساً »

شراب الشاي خير لي من الدنيا وما فيها !
 إذا ما أقبلت كأس كخزد في تهاديهما
 قولي لهم من نفسي ودانست لي أمانيهما !
 عرفتم من هو القائل هذا الشعر في الشاي ؟
 يرى في الشاي دنياه فما صححة ذا الرأي ؟

(أحد الأدباء) :

عقيل

لا تعجن همام تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شاي ولا ندماء ؟
 : إنَّ في الشاي عزاءً لهمام
 لصريع الهم والغم
 لكيب أو حزين أو عميد أو متيم
 حاز لطف الخمر إلا أنه غير محرم ؟
 من صفاء اللون في العين
 هو مسلاة أديب
 وحسن الذوق في الفم
 فيه من بلواه مغم
 يجمع الناس وينظم
 ع منجاة ومغم
 صار فينا يتحكم
 فغلونا فيه حتى
 وغدا وهو على القو
 ت الضروري مقدم !
 وشربناه بلا وزن
 وتقديم منظم
 فلكم يسلبنا الما
 ل وكم يسقمنا كم
 ولكم أنحى على بيت
 كريم فتهدم
 ولكم عائلية جر
 عها صابنا وعلقم
 ولقد زاد بلاء
 أنه في قطننا عم
 فهو في القصر ، وفي الي
 ت ، وفي الكوخ المرمر !!
 - ملغنا إلى « عبد الله » المغني :

يا بلبل الأفراح والسُرور
 اصدحْ تموسيقاك في الحضور
 غن لنا شعر (أبي كثير) في الشاي وانشر ميت القبور !
 (يتهيا المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :
 يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم !

أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلّم

ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حيّاك وجه العيد مبتسم الفم

ذرّ بعض همك واقض بعض حقوقه

لا بيدّ للمحزون من مُتَبَسِّم !

واقذف شياطينَ الهموم بأكؤس

تنفضُ من (بُرّاد) شاي مُعلّم^(١)

مخضرة جنباته فاعجب له من جنة خضراء فوق جهنم !

شاي يفوز من احتسائه بلثمة من كل خلدٍ في الحسان ومبسم !

من (باسلامة) مثل ذوب التبر أو

من (مشعي) مثل لون العندم^(٢)

مثل الطلاء في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمائم

لا نقص عنها فيه إلا أنه خلّو المذاق وأنه لم يحرم

فاشره متخذاً نديك كل ذي أدب متى نادمته لا تدم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجدت

آخر : لقد رَوَّح ستّ بالصوت أكباداً وأرواحا

همام : وقد تفرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصتوا للشاعر من شعرائكم سري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقري !

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

رَوَّقَ لَهَا مَاءَ الْغَمَامِ وَهَاتَهَا لِي وَالْحَبَابَ يَجُولُ فِي جَنْبَاتِهَا
 صُهْبَاءَ مَا عَيْثُ بِهَا يَدُ عَاصِرٍ مَا عَاشَرْتُ إِلَّا أَكْفَ سُقَاتِهَا
 مِنْ جَيْدِ الشَّيْءِ اسْتَحَالَ عَصِيرُهَا
 فَغَدَتِ تَحَاكِي الشَّهْبِ فِي جَامَاتِهَا
 قَدْ رَاقَ مَنَظَرُهَا وَرَقَ زَجَاجُهَا
 فَلَعَلَّةٌ لَمْ يُلْهَقُوا كَاسَاتِهَا
 لَوْلَا انْتِصَافُ الْكَاسِ خَيَّلَ أَنَّهَا
 فِي كَفِّ سَاقِيهَا تَقُومُ بِذَاتِهَا !
 وَإِذَا الْهَمُومُ عَلَى النَّدِيمِ تَكَاثَفَتْ
 وَبَدَتْ أَشْعَتُهَا جَلَّتْ ظِلْمَاتُهَا !

حَقًّا لَدَيْنَا نَهْضَةٌ أَدْيِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ
 عَمَرَتْ نَوَادِينَا ، بِهَا يَسْتَبْشِرُ الْمُسْتَبْشِرُ
 نَشْطَ الْبَيَاضِ فَشَاعِرُ يَشْدُو وَآخِرُ يَنْثُرُ
 هَذَا لَعَمْرِي مُؤَوِّدٌ بِنَهْوَضِنَا وَمِبْشُرُ

(يَتَنَهَّد)

لَكِنَّ .. مَشْيُ الْعِلْمِ فِي أَحْيَانِنَا مَتَعَثِّرٌ !
 جَمَدُ (الْفَقِيهِ) عَلَى مَتْنٍ نَافِثٌ بِأَلْسِنَتِهِ
 وَكَأَنَّهُمَا التَّنْزِيلُ أَوْ هِيَ بِالْقَدَاسَةِ أَجْدَرُ !!
 وَيَرْتَلُ (النَّحْوِيُّ) كُتُبَ خِلَافِهِ وَيَقَرُّ
 بِمَضْيِ عَلَيْهِ عَمْرُهُ لَا يَسْتَطِيعُ يُعَبِّرُ !
 أَمَّا (الْحَدِيثُ) فَإِنَّهُمْ يَتَلَوْنَهُ كَيْ يَوْجِرُوا
 وَوُظُفِيَةِ (الذِّكْرِ الْحَكِيمِ) عَلَى الْقُبُورِ يَكْرُرُ !
 أَمَّا سِوَى هَذِهِ الْعُلُومِ فَأَمْرُهُ مُسْتَحَقَّرُ

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر ؟
 في الدين والدنيا جميع عا سِرُّها مُتَقَهِّقِر !
 أحد المتأدين (معرَضًا) :

إنا علينا السعي للـ أآخرى ؛ وللدنيا سوانا !
 أو ليست الدنيا بسِجِّ من المؤمنين كما أتنا ؟
 : الله يأمر أن نكو نَ أَجَلٌ أهل الأرض شاننا !
 وأشملهم بأسًا وأر فعهم وأعلامهم مكانا
 كيما نقيم العدل في الـ لَدُنْيا وغلاها أمانا
 فإذا اتبعنا ما يقولُ فسوف يُدْخِلُنَا الجنانا
 فنرى بها الدنيا كسجـ من لا نرى فيها رضانا
 والدين بالدنيا فليس يقـ ومُ ما ضَعُفَتْ قُوانا
 وضِيعَةُ الإسلام لا ترضى المذلة والهوانا
 هذا المراد ، وحسبنا قرآنُ مولانا ييانا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة
 والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :
 يا بني الأشراف قوموا وانهضوا

فكفى ما كان منكم من كَسَلٍ
 اعملوا لا تتوانوا واعلموا أن هذا ديننا دينُ عمل
 بينما الناسُ على أعمالهم بين تشمير وجَدٍ مكْمِل
 تهادون كأسراب القطا وتمشون كقطعان الهمل ؟!
 أفلا يغشاكم فيه جبا ؟ أو لا يلحقكم فيه خجل ؟

أحدهم : إنهم أشياخنا ينهوننا عن تعاطينا لأعمال السفلى
 فعلىنا العلم أن نخدمه وسيغنى من على الله اتكل !
 همام : إن هذا الرأي منهم خطيل وأراكم لا تقرون الخطيل
 فمتى عُذَّ من العار على سيد مسعاه في خير السُّبل ؟
 يجلب الخير إلى أهليه من والدٍ أعمى وأم تبتهل
 وأخياتٍ على أوجهها كُمدة اليأس ولألاء الأمل !
 تمنى ما لدى جاراتها من أثاث وحُلَيّ وحُلل
 أو لم يكتسب المختار في عهده والآل والصحب الأول ؟
 طالب العلم ولا كسب له بسؤال الناس لا بُدَّ يذل
 ليس من لم يكتسب متكلاً إنما الكاسب عين المتكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياة
 لا تجملوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاه

* * *

أسلافكم وجلودكم شهلوا عصوراً غير هذا
 فلو أنهم شهلوه ما انتبـهـنوا عن الدنيا انتبـهـاذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججاً ، ولكن محصوها
 فحنوا محاسنها وخلـبـوا ما تسرون الرئـبـ فيها

* * *

لا بأس من تمجيد ذك — س را هم فقي التمجيد ذكرى !
كم حاضر تحت الرمو — س أفاده ماضيه نشرا

* * *

لكن بحيث يهيب نح — و الحمد منطلق القيود
العصر غير العصر وال — أشبال أبناء الأسود !

* * *

كانوا هداة الناس بل — كانوا ملائكة التقى
قد أكبروا شأن الفنا — وأصغروا شأن البقا

* * *

لما سرت رُوح التصو — ف والتبّل فيهم
مقتوا الحياة كأنها — أشياء لا تعنيهم

* * *

فالموت همهمو ، وغا — ية همهم دار المآب
فغنوا لهذا بالقبو — ر وما إليها من قباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأح — يوا لأذكارهم المواسم
يحلّون عنهم العزا — عن عيش سوء غير دائم

* * *

فقفوا أمامهم خشو — عا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارهم — فعليهم أزكى السلام

* * *

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلَبَ الْجَمُودُ عَلَى ذَوِيهِ
أَتَلَوْهُمْ ظُلْمًا لِأَنْ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟!

* * *

إِنَّمَا لَنَظْلِمَهُمْ إِذَنْ وَهُمْ التَّقَاةُ الصَّالِحُونَ
رَامُوا رِضَى مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

* * *

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسَلِّمِينَ

* * *

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَى جَهْلٍ — بِحَقِّ أَوْ بِيَاظِلٍ
لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانُوا أَفْضَلِ

* * *

الْيَوْمَ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةُ

* * *

شَبَّتَ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُّو سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالْبَدْعُ
مِمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالشَّيْغُ

* * *

فَلَقَدْ هَوَتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ لِلْمُسْتَبَدِّ الْمُعْتَدِي

* * *

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد
وإلى هُدى المختار والـ سَلَف الحكيم الرَّاشِد

* * *

فعليكموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تكعّوا
أتم بنو الهادي فما في سبقكم للفضل بدع

* * *

كونوا مثال الثبل كو نوا قادة للمسلمين
والدين كونوا في طليعة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تجدن بينكم نصيرا
ومنى دعوتكم للصالح هديتم بشرا كثيرا !

* * *

وتعلموا أن الورى في شريعة الهادي سواء
ما الفضل إلا بالتقى والكل من طين وماء

* * *

أما الثقاليد القديمه فاتركوها أجمعاً
أو لم تكن للفتنة العمياء فيكم مهيعاً ؟

* * *

عاد جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف
العصر بمقتها ، وليس يقـ رها الدين الخيف !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيمّ تهامسون ؟ وممّ تعجبون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويحيب أحدهم) :

القوم للذي قد قلت منكرون !

آخر : يقولون ترشّدت !

همام :

وهل بالرُّشدِ مِنْ لوم ؟

فهذا (قُطِبَ الإِرشا د) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم :

نحن نعنى فحة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرنا بالعدا في (جاورِ) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام :

سؤتم ظناً ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لِمَا كان من شغبٍ (بجاوا) أسفا

وأراها سبةً تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ بابها إلا جمودَ الشُّرفا !

وقفوا في وجه سبيلٍ لو تولّـ سوه بالحُسنى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونسوا أن المبادي لا ترى نُجّحها ما لم تؤاخ الشُّرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشاديةً) لا ولا (رابطةً) أو جنفا

إنما أعرف (إسلاميةً) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا ترى فيهم ربّاً ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذهبنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السُّلفا

فغدا العُرفُ لدينا مُنكرًا وغدا المنكرُ فينا عُرفًا

* * *

أنا لا أعرف إلا دعوةً (لجمال الدين) شقت غُلُفا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفا
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الخفا
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها خلفا
ولقد أَيْلها تلميذه « عبده » فيما دعا أو أَلَّفها
بثَّ روح الحق في أتباعه فغلوا فينا غيوثًا وكُفوا
فلنبثَّ الروح فيها هذه في إحياء ووفاق ووفوا
لنحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

* * *

يا بني الأحقاف توبوا للهدي

واتبعوا (الذكر) ولو ذوا (بالسنن)

وانشروا العرفان في قطركم

واستغلوهُ وأحيوا كل فنَّ

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحن

* * *

بينكم جنس ، ودين جامع

ولسان وعهود ووطن

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعانقان ثم يجلسان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تغيّبت ؟ فعهدي بك من شهر
جرت في الربع أحداثٌ وظني بك لم تسدر
محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ أهل الكشف والسرّ
(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قُبلو » « شيخ البز والبحر
ألم أخبرك إذ يتممتُ ما يتمتُ من أمري ؟
همام : (متفلسا الصعداء)

بلى إنسي ذكرتُ الآ ن ! فاقبل يا أخي عذري
بلائي الله بالحب ! فعقلي ذاهل دهري
نهاري كله فكير ! وليلي مدمع يحجري !
ولا ينفعني علمي ولا رأيي ولا فكري
ولا المشهور من فضلي ولا الممتع من شعري !
محمد : أخي ! لا تنس أن تصير
وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تألم في جسمي وما تغتم في قلدي !
وما يحملسه ظهرك محمول على ظهري !
ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟
: جرى .. ماذا جرى ؟ لا شيء غير الضيم والقهر !
« ولي الله » ذو الحُبو والأردية الخضر !
وذو المسواك في العمة قد ادأربى على الشر !
ورب السبحة الغار ق في التسبيح والذكر !
بها يُذكر في الناس ولا يذكر في السر !
ومن يمشي بعكازين من أتباعه الكثر !
يطاطي رأسه للأر ض كالباحث عن سر !
تدنى من (شهاب) سا عيسا بالختل والمكر
أتاه خاطبا (حسنا) لراشي دينه (بكر)
ولم يألُ اجتهدا عنده في الغض من قلدي
رماني بصنوف الزيف والبدعة والكفر
ولا تجهل طرق القوم في الحيلة والخسر !
: خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يصره ذوو الأحلام
أفقد عدوك روحه بسلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام
(في شيء من العتب والموجدة)
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرأ ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعلام ننقم ضلة الأقسام

همام

محمد

همام

محمد

: لا يُخْطِرُ ظَنُّكَ مَا أُرِدْتُ ، فَلِمَ أُرِدْ

إِنَّا نَلُودُ بِسَبِّةٍ وَمَلَامِ

إِنَّا لَنَرِبْنَا أَنْ نَقَارِفَ خَلَّةَ تَزْرِي عِبْدَتُنَا الْقَوِيمَ السَّامِي !

لَكِنْ أُرِدْتُ سَقُوطَ هَذَا الْمُرْتَشِي

بِطَرِيقَةِ تَكْسُوهِ ثُوبِ الْإِثَامِ

وَنَرِي نَخَازِيهِ الْأَنَامَ لِيَقْلَعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ !

مِنْ كُلِّ قَاسِي الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ

سَاطِئِلِ مَحْتَتِهِ ، وَأَبْطَلَ سَحْرَهُ قَسْرًا وَالصِّقُّ أَنْفَهُ بِرَغَامِ

وَسَيُصِصَّرَنَّ ذُوو الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي

بِرْدِيَّتِهِ أَيَّ مَدَجٍّ لَأَثَامِ !

همام

: (وَهُوَ يَتَسَمَّ بِاتِّسَامَةِ الْإِعْجَابِ وَالرُّضَى)

بُورَكَتْ يَا خَيْرَ الصَّحَابِ ! وَبُورَكَتْ

رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ

لِتَنَّمَّ جَفَوْنِي مَا سَهَرْتَ فَإِنْ أُنَمَّ

وَسَهَرْتَ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ

مُحَمَّدُ هَاتِ عَنْ قَيْلِدُو نَ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ؟

وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسَمِ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ ؟

وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّجْرِ ؟

: تَوَافَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى قَيْلِدُونَ كَالنَّزْرِ

محمد

فَمِنْ سَاعِيَةِ تَمْشِي وَمِنْ رَاكِبَةِ الْحُمْرِ

هَنَّاكَ السَّاحَةَ الْكَبِيرَى تَحَاكِي سَاحَةَ الْحَشْرِ

بِهَا مَا شَتَّتَ مِنْ لُحُو وَمِنْ لَغُو وَمِنْ هَنْزِ

وقد غصّت بأشجار من الآساد والعُفر !
تبارت ثمّ في الخِلْـة —————
وقد يقتلن بالمِعصم أ ————— وبالنظر السحري !!
من الظُّهر إلى العصر إلى مُبَلَّج الفجر !
هناك الخسر في الدين وحسب الناس من خسر
ولا يرنح في تلك الـ ————— زيارات سوى النجر
وأما سادن القبّة فهو الرابح المثرى !
تساق لداره الأكيا ————— س من حبّ ومن تمر
(وللصندوق) ما يـ ————— ع من ورقٍ ومن تير !

* * *

ولما حضر الوقت تداّعوا كضحى النفس
وأُمّوا نحو قبر الشـ ————— خ بالطبل وبالزمر
يصيحون : وليّ الله جنتاك إلى القـ ————— بر !
أتيناك لكي نحمل ————— عنا ثقل الوزر
وكي تُسبّل يا قطب ————— علينا ضناقي السـ ————— تر
وفي الأنفس حاجات ————— بها يا سيدي تدري !
أتيناك لكي تقضى ————— ونحظى منك بالسـ ————— تر

* * *

ولما وصلوا القبّة داروا دَوْرَةَ الحُمـ ————— ر
وأهوت راحُ ذاك الجمـ ————— ع في التابوت بالنقر

فلا تسمع إلا ما يصيب السمع بالوقر
 هناك النلس غير النـ لس في الإخبات والذكر !
 فهذا خاضع شاك وهذا دمع يجرى
 وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصنر !
 وهذا يرعد الرعد ة في أعضائه تسري !
 وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر
 وهذا صائح : يا سيدي عطفاً على فقري
 على عجزى وإهمالي على ضعفي على ضري
 وقد جلت القبّة بالزينة والسـ تر
 ويضات من البلو ر غلقن على الجنر !
 فمن حمر إلى صفـر إلى زرق إلى خضـر
 ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب السرّي
 وللتأبوت معنى من جلال العتق والقدـر^(١)
 قد اسودّ من التقييل في ختلف العُصـر !
 عليه ضيّب الفضـة في أسود كالحرير
 فبيلو كثغور الزنـج إذ تضحك من أمر !
 فشمّ الضم والتقيـل بل بالثغر وبالنحر
 تلاهى فيه دمعاً الشا ب والجارية البكر !

* * *

ولما سكن الجمعُ سكونَ الموج في البحر
تراءى الناس شيوخاً ذا شقاشقَ فيهم هُنَّ
ينادي : أيها الناس اهدأ سنأوا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى بنيل الفضل والفخر
قصدم باب ذى عطفٍ وذى جود وذى برٍّ
وإنَّ الشيخَ لا يتركُ من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القص د في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطا ب والخدمة والصَّير
ولياكم وسوء الظن من بالصوفة الغرَّ
فأهلُ الله هم . جازوا مناطَ النهي والأمر !
ملوكُ لهم التصري ف في البر وفي البحر

■ * ■

سمعنا أن في (حدري) نباشيرَ من الكُفر^(١)
تصديّ ناشئ غر بلاه الله من غر !
يُربى الشجر كالفسا ق إذ يُعنون بالشعر
تلقى من فنون العِل م ما زاد على القنر
فأغواه وأرداه وجاء النفع بالضر
ومن شقوته استحل حيمَ الأدب المزري
جريء القلب لا يع أ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي
على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يسئ السم في الجاهل ————— لل والعلامة الحبر
يسيء الظن بالأقطاب ————— ب أهل المد السري !
له أتباع سوء كلب ————— هم يدعو إلى الشر

* * *

هنا قمت وقد ضاق بي الواسع من صدري
وما باليت بالفوغا ————— في عسكرها المجر
وقلت اسكت عجوز السوء ————— يا داعية النكر !
علو الله والإصلا ح ! هل تهذي ولا تدري ؟
أتدعو الناس للنكر ————— وتهجو داعي الخير
فصاح الشيخ : غولوه ————— فذا من شيعة الغر
فلولا أن تسأللت ————— من الجمهور بالفر
لكانوا أعدموني مه ————— حتى بالضرب والدف (١)

همام : (يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه)

حماك الله من سوء ————— وقاك الله مسن شر
لقد قمت مقاماً لا ————— يُوازي عظمه شكري
ولا بد لذي الإصلا ح ————— من عزم ومن صبر

* * *

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار
بالمقارن الجميلة عليها الروائد والمياثر الناعمة .

- علوية : (داخله الغرفة)
أيها الربع سلام عيكم !
خديجة : (ناهضة لاستقبالها)
وعليكم ألف ألف سلام !
مرحباً أهلاً بشخص كريم مرحباً بانبئة قوم كرام
(تتصافحان فتجلسان)
علوية : يا صباح الخير !
خديجة : هذا صباح بك طلق ثغره في ابتسام
علوية : كيف حال الربع ؟
خديجة : في خير عيش نسال الرحمن حُسن الدوام
علوية : أين حُسن ؟ إن شوقي لحسن مثل ما اشتاق إلى الماء طامي !
خديجة : هي في غرفتها
علوية : إئذني أن أراها ..
خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائرنا
(تقبل الخادم بعدة الشاي)

- علوية : وماذا ؟
- خديجة : قصصنا الأنس وطيبُ الندام
- علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنَ بَسَاطِ الْمَدَام
- خديجة : (مبتسمة)
- أَتَجِدِينَ احْتِيَالًا كَهَذَا ؟
- علوية : إِنَّمَا أَمَلَى احْتِيَالِي هِيَامِي

(نقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حسن تمشي على استحياء)

- علوية : (قائمة)
- مرحبًا بالبان يهتَرُ لَنَا ! مرحبًا بالبدر بدر التمام !
- (تدنو فتقبل حسنا على خديجة فتقبلها حسن على رأسها
- وتجلس إلى عدة الشاي)
- يَوْه ! مَا أَجْمَلُهَا مِنْ فَنَاءِ يَوْه ! مَا أَصْلَحُهَا لُحْمَام !
- صلواتُ الله تغمر طه وحماها الله من عين رام
- (يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان
- وتطرق حياء وتشاغل بإصلاح الشاي)

- خديجة : (في تجاهل واستغراب)
- مَنْ هَـمَام ؟
- علوية : تَسْأَلْنِي عَنْهُ ؟ لَيْسَ يَخْفَى الْبَدْرُ بَيْنَ الْأَنَام !
- ذَلِكَ الْمُصْلِحُ زَيْنُ شـ باب القطر ذو الهممة والإعترام
- ذَلِكَ الْحَالِي بِكُلِّ جَمِيلِ ذَلِكَ الْعَاطِلُ مِنْ كُلِّ ذَام
- ذَلِكَ الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ قَطْرِ بِمَزَايَاهِ الْكِتَارِ الْعِظَام

والذي سارت بحسن قوافيه - إلى مصر وأقصى الشام
(تلاحظ ارتباط خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسولاً هُمام أنا لا أعرف شخص همام
إنما آسفٌ أنْ كَرَّمَا مثله يُمنى بقوم لئام
هو يسقيهم كئوسَ حياةٍ وهمُ يسقونه كأسَ سام^(١)

خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟

ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زوروا من كلام

علوية : ما استطاعوا أن يزئبوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام

خديجة : إن قلبي ليوذُ هماماً ورضى بنى أقصى مرامي !

(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن لهما)

فتقاطع حديثها وتلفتت إلى حسن قائلة :)

أتحبين هماماً :

حسن : (في تلغثم وخجل)

ومن لا يعد .. شق الحر الحسيب العصامي

فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !

خديجة (عائدة لتمة حديثها)

غير أنني لا أطيق كلام النـ لس في زوج ابنتي بالملام

فلزوج البنت عندي محلٌ في السويداء من القلب نام

خبريني كيف أدفع عنه حين يُرمى بالفِرَى وأحامي

ليتة خلّى زمام الورى فيهم ، فما كان يربّ الزمام

فيهم يهتمُّ بأمر سواه وهو لما يَعدُّ سنَّ الغلام ؟

لو تملئ بليالي صباهُ فمضت في غبطة وسلام !
لو تملئ عن شؤون البرايا وتولئ شأنه باهتمام !
وتعامى عنهم !

علوية :

هو يخشى غضب الله لهذا التعامى
فالذي يكتم علم الهدى يُلدَّ حِمٌّ من نار لظى بلجام
إنما ضرَّ البرايا تعامى هؤلاء العلماء الضخام
يصرون النور وهو مضىء فيلوذون بستر الظلام !
ويرون الناس في ليل جهل يتدجى أفاقه بالقتام
يتراءمون على كل قبر ومصاب الدين في ذا التزامي
ويرون النكرات عظاماً فتراهم عندها كالعظام
ويقولون : لنا بالآلى قد غيروا من قبل حسن ائتمام
أنرى نعزو إليهم ضلالاً وهم أمثلة الاعتصام ؟
مثل هذا عندهم وهو عنر سوف لا يقبل يوم القيام !

* * *

فخليق بفتى كهمام أن نرى غيرته في اضطرام
إذ يرى موطنه في انحطاط وينرى أمته في انقسام
دب فيها داء جهل وخلف وعناء قاتل وخصام
فأنرى ينعشهم من حمول ومضى يوقظهم من منام !

خديجة

: فهينى قدر ضيت ، فمن لي - بشهاب وهو صعب الزمام ؟
وهو لا ينفي ويثبت أمراً بسوى رأي (الولي) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يوماً فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن (لبكير) فيه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام
علوية : (في غضب)

ذلك الدجال لا ريب فيه أولي الله عبد الخطام ؟؟
قد رشاه بالريالات يكر والرشي للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامي ؟؟
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حي وهم في الرجام ؟؟
معشر ماتوا وصلوا إلى النى ران ، أو صاروا للدار المقام
تُرّهات جعلوها من الدي ن ، تعالى ديتنا المتسامي !

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقي ! إنني لمشتاقة إليك
زهراء : واتشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكراً لذك راك فقد جرتك ذكراك
علوية : عندي بشرى لكم
زهراء : بشري علّ لنني في طي بشراك

- علوية : أين همام ؟
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله عمياك !
 علوية : فإنه ثم على حالة من الأسى يكي لها الباكي !
 زهراء : يكي لها الباكي ؟ ألا ويحه ويح لذك الأسد الشاكي !
 علوية : هاتى أيىني : ما الذى جتتا به ؟ رعاك الله مولاك
 علوية : لعل أن تفشأ عنه الأسى يملك ، ما أبرك يملك !
 زهراء : خديجة لئت من قلبها على همام
 علوية : هل جرى ذاك ؟
 علوية : كيف وأين ومتى ؟
 علوية : زُرْتُهَا أمس وهاك ما جرى هاك

« نقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .
 تستأذن زهراء لبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

- زهراء : بشرته فانهملت عينه من فرح ما كان لولاك
 علوية : وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك
 زهراء : لم آت ما أشكر من أجله !
 علوية : مثل ذا اللطف عرفناك
 زهراء : إن هماماً قانع في الهوى بكذبة من فم أفاك !
 علوية : وبأخذ اللفظة فالأله من قصة يوردها حاك !
 زهراء : وقد يرى الحليم فيعنه نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا يبكي سروراً وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خَلْه محمد ذو الخلق الزاكي
لازتما عون أخي دائما والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه
محمد إياها . يدخل على ولي الله في غرفة فخمة مزدانة بكل ما
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجله لرجل عنده يكسهما » .

سالم	: سيدي يا صاحب السر العظيم	يا ولي الله يا غوث العديم
	متع الله بمحياك الوري	إنما وجهك مصباح العتيم
الولي	: مرحباً بالخادم السر الذي	خصه الرحمن بالقلب السليم
	حسن الظن بأهل السر يا	خادمي تحظ بمجنات النعيم
	آه - لو يعرفني هذا الوري	لأتوني من قصيات التخوم
	أنا جيلاتي هذا العصر ، قد	وطئت رجلاي أعناق النجوم
	خضت بحراً وقف الخلق على	ساحليه في زهول ووجوم -
	من رأني أو رأى من راعني	فهو محظور على نار الجحيم
	أهل هذا القطر ما دمت به	في رخاء وهناء مستديم
	يولد الطفل على عيني ، كما	يرحل الراحل أو يغني المقيم
	أسعد الناس بنا أحسنهم	نية فينا فذاك المستقيم

- وأشدُّ الناس خسرًا من بنينا . ساء ظنًّا فهو شيطان رجيم !
 ذاك في نارٍ لظنِّي مهما يكنُ . كامل التقوى يصلي ويصوم !
 ولقد قام أخيرًا ناشئٌ . صرفته عن رضى الله العلوم
 رام إسقاط مقام الأوليا . جاهلًا ينفث في الناس السموم
 زاعمًا أنَّ الورى في ضلَّةٍ . وهو يمشي وحده النهج القويم
 هكذا من كان لا شيخ له . من أولى الباطن في الغي يهيم !!
 : سيدي علَّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم
 : نحن لم نعن سواه
 : أنسالي في علاج الناس أسلوب حكيم
 : ربما استطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيِّ الذميم
 : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحيي العظم الرميم
 : إنَّ هذا لحال !
 : إنني بالذي يُفري همامًا لعليم !
 : إنني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
 : إنه يهوى فتاة لشها بي هوى قيس ليلي في القديم
 : هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيف كالظليم
 : وشهابٌ خاتمٌ في كفكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
 : لو سمعتم لهما من عنده فضمننا لكم أن يستقيم !
 : (في غضب وهياج)
 : ليت شعري كيف أقضي حاجة . لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
 : كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
 : كم عتاني أمره من مارد ! ولكم عذَّب قلبي بالمهموم !

والذي نفسي فى قبضته وبه السَّبعُ السماوات تقوم !
 نحن لولا أنَّ فى غضبتنا حِطَّةٌ من رتبة (القطب) الحليم
 لضربنا ضربةً تنميهه وتركناه كمنذرو الهشيم
 وأصابَتْ بيته نائبةٌ تنهل المرضع عن رعي الفطيم
 : إنما نقضي على أنفاسه إن جعلناه إليكم يستتيم
 إنَّ هذا هوَ الرأي الذي يحفظ الناس من الداء الوخيم
 : أتراه يرعوي عن غيِّه إن أعناه على نيل المروم ؟
 : ذاك ما لا شكَّ فيه ، وأنا لكم بالكفِّ عن ذاك زعيم
 : خادمي ! رأيك هذا صائب فهمام خطرٌ فينا عظيم !
 غير أنَّ الأمر قد فات ولم يبق في الرأي مجال للحكيم
 قد خطبناها (لبكر) قبله وجانا منه بالمال الجموم
 فرميناه (بصندوق القرى) لغريب أو فقير أو يتيم !
 (يسكت قليلاً ثم يقول)

سالم

الولي

سالم

الولي

كم همائم دافع من ماله ؟

: ضعف بكر أيها المولي الكريم
 : ذا إذا ألف ريال ! هاته قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم
 : إن بكرًا ذو غنى ، لكنه يابس الكفِّ شحيح ولثيم !
 سيري عاقبة البخل غداً عندما يُخطئه الوجه الوسيم !

سالم

الولي

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله

من الغد)

سالم : قد فعلنا كل شيء وظفرنا بهم امام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرور بهذا شاكر سعي الإمام
تارك دعوته النكاح راء من أجل الغرام

الولي أخذ أن ليس يؤذيكم بفعل أو كلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هل أقف — بليتَ بالمالِ اللزَامَ ؟!

الولي : هـاك تحويلاً إلى « جا وا » بألف بالتمام
(يمد يده للتسلم)

هاتمه ليس لِحَيِّي بل لصندوق المقام !!

المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جَاءَنِي اللَّيْلَةُ آتٍ فِي الْمَنَامِ صَائِحًا يَهْتَفُ حَسَنُ لَهْمَامِ

شهاب : إِنَّ بَكْرًا فَسَدَتْ نَيْتُهُ فِي تَوَلِّيْهَا مَجِبٌ وَاحْتِرَامِ

شهاب : إِنَّهُ يَا سَيِّدِي مُبْتَدِعِ

الولي : إِنَّهُ قَدْ تَابَ عَنْ هَذَا الْإِتَامِ

شهاب : (فِي اسْتِغْرَابٍ)

وَمَتَى تَابَ ؟

الولي : أَتَانِي نَادِمًا أَمْسَ مِمَّا بَثَّ فِي النَّاسِ السَّمَامِ

شهاب : إِذْ دَعَوْنَا اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ سَمَحَ اللَّهُ بِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ

شهاب : (فِي خُضُوعٍ وَتَسْلِيمٍ)

ليكن ما شتقم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إن قلبي	مما فعلتـم لموجع
	أشتاقكم غير أنني	من وصلكم أتمنع
	فإن جرحي منكم	فيه الأسا ^(١) ليس ينفع
	ولو أطعت صوابي	ما جتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعتـ	ب فهو للودّ أجمع
	ما ساء قلبك مني ؟	قولي لعلّي أرجع !
	فرمما خبّ ولثـ	فينا إلى الدحس يهرع ^(٢)
	وذا زمان لثيـم	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن هماماً شقيقي	له بقلبي موضع
	فيلكم منه نيل	مني بغير تورع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	سمي ، فبعض التسرع
	فما ذكرت هماماً	إلا بما عنه يسمع
	من الخروج على النـ	لس في تقاليد تبـ
	قصصت ذاك لعصماء	من بنات المشفع
	لأنهـا لهمام	رأيتها تشفع
	قامت تدافع عنه	بحجج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلبي ليهوى
إذن فماذا التباي
إلا رحمتهم فتى من
تكاد أحشاؤه من
: إن الإبا من شهاب
لأن رأي شهاب
(في غضب) : زهراء

القطيبُ لصٌّ عن
يشرى ويتاع « حُسْ
كأنها سُلعة في
ألم يبعها « ليكر » ذا
كأن سود الدياجي
ثم أرتجي من همام
ووعا باعها في
والناس ظنوا أباكم
إن الوليَّ عن السوءِ
أبوكم ليس يدري
ولو درى لتبراً
(وهي تألم) : خديجة

أقد تحذت عنا
يا ويلناه ! أنؤتي
إننا أنلس على عز
بذاك في كل مجمع
من حيث لا تتوقع ؟
نا نحامي ونلغع

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع
لو كان يلدي شهاب لما تهنأ بمضجع
وسوف يلدي عسى عن هذا المدجل يُقلع
(تتهجد وتستعبر)

يا ليت (سعدًا) لدينا في أمرنا اليوم يقطع
لما ألاننا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع
في أرض (جاوا) التي تاكل الرجال وتبلع
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع
يا بئس ما جمعت كُفًه وما هو يجمع !!
ماذا يفيد الغني من يخسر أهلاً ومربع
تزوجت « مزفة » عُرَّ سها به لم يُمتنع
تُسال : أين أبوها ؟ فلا تُجيب ، وتدمع
وهذه أختها أو شـ ككت تزف وتخلع
فواشقاء حياة فيها الفؤاد موزع

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مالي أراك كئيِّباً ؟ مُتَمَمَّماً يا شهاب ؟
فما أصابك ؟ قل لي

شهاب :

إني بخطيب مُصاب !
بذكِّره ويُجِيبُ

وَمَنْ بَغَرْتَهُ كَانَ
يُسْتَدْرُ الْمَسْحَابُ !

من كنت أبصيراً أخطأ
عَهْ وَهْنٌ صَوَابُ

قام يُلَوِّثُ عَرْضِي
عابِه النَّاسُ عَابُوا

فَقِيلَ إِنِّي طُمُوعُ
بِالْمَالِ وَهُوَ كِذَابُ

لَوْلَا الْمُدْجَلُ هَذَا
لَا عَلَاتِي عَابُ

لِلَّهِ دُرُّ هُمَامِ
فَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَجَابُ

إِذْ قَالَ : أَمْثَالُ هَذَا
فِي الْمُتَقِينَ ذِيَابُ !!

وَإِنَّمَا سَتَرْتَهُمْ
عَنِ الْعَيُونِ الثِّيَابُ !

فَمَا نَرَاهُ شَرَاباً
مَا هُوَ إِلَّا سَرَابُ

: أَنَا الَّذِي سَلَّمْتَهُ
مَالُ هُمَامٍ بِيَدِي

فَلَا تَكُنْ مِنْ أَمْرِهِ
فِي شَيْءٍ أَوْ تَرَدُّدُ

إِنْ هُمَامٌ لِلْعَصَا
مِي الْكَرِيمِ الْمُتَحَدُ

مَهْمَا يَقْلُ فَإِنِّي
زَيْنُ شَبَابِ الْبَلَدِ

رَأَاكَ لَا تَصْغِي إِلَى
غَيْرِ كَلَامِ (السَّيِّدِ)

سالم

شهاب

سالم

ولم يجد إلا ولي الله خير مسعد
 فلم يدع وأي صديق فقهِ الفتى « محمد »
 ولم يكن ذاك الذي يهدي الوري عهدي
 مَدَّ إلى الدرهم جيم — دَ ذَلَّةٍ في صَيْدٍ !!
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تقنعد
 أنت عليك الغرم والغم لرب المدد !
 هذا جزا تارك رأي — له لرأي أحد !!

* * *

المشهد الثامن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ رَدَدْتَ مِنِّي اليَدَا
 أَلَسْتُ قَدْ قَبَلْتَنِي فَمَا عَدَا عَمَّا بَدَا ؟

شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)

حظك يا بكر - النذي حلاً عنك البوردا
 فاطلب سواها تلب — قهن كالرمال عددا

بكر : (في وقاحة)

وأين أموال التي أنفقت فيها بددا ؟

شهاب : لمن دفعتهما !؟

بكر : لـ — لاننا الولي المقتدى !

شهاب : (في سخرية)

إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا
بكر : (معروضاً)

أعطيته لأنه كان لكم معتمدا
شهاب : (في غضب)

خسئت يا نذل ققم وخلّ عنك اللدا !
أليس فينا حاكم يحكم هذي البلدا ؟
فاشك إليه من على مالك - إن شئت - اعتى !
بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمالي كله
.. أكله .. وازدردا ..
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئا أبدا .. !
أما اكفى بما ارتشأ ه نصف ألف عدا ؟
يا ويلنا ! واحسرتنا ! واحزننا .. ! واكمدا !
لأرفعن أمره إلى الأمر « أجمدا »
أفضحه عند الورى .. !

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصرت الهدى !
بكر : (يتهد)

فليمض مالي لظهو ر سيئاته فدي !!

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟
 همام : لخبر يا أميري ؟
 الأمير : ألم تعلم بما احترمتَه كفاً ولي الله من إثم كبير ؟
 همام : بلى هذا حديث قد فشا في حمانا في الكبير وفي الصغير
 الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟
 همام : أرى أن تحبسوا الجاني وأن لا

تمسّوه بسوء أو نكير
 فمطلق حبسه كاف - أراه - لردع سواه من أهل الشرور
 الأمير : ولكن والدي يخشى علينا - إذا عاقبته - سوء المصير
 يُحاذِر دعوة منه علينا فتلحقنا بأصحاب القبور
 همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقدّ الشعور
 وحسبك ما قرأت عليك طرداً

لأوهام توسوس في الصُّدُور
 أتعرفُ إثمهُ وتخاف منه ؟

أتقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟
 كذاك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيّل من أمور
 وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور
 فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

فإن تجبسه جئت به دليلاً
فليس أذاه مقصوداً ولكن
: لقد قررت هذا الرأي قبلاً
وإن الدجل أبغض كل شيء
يسجل عجز أقطاب الغرور
ليبتل سحره بيد الأمير !
فيورك في ذكائك من مشير
على الدنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد وأنت صديق همام الوفي
فلو كان من ربي رسالة كنت حواريه المقتضي
وتعلم ما كنت أؤذي همام ما به غير هاد ولا منصف
أتابع في أمره مفسداً يسع ويتاع بالمصحف !
وإني على ما مضى نادماً وأنت بإصلاح أمري حفي^(١)
محمد : ألا مرحباً بالسليم الفؤاد وبالظاهر السيرة الأشرف
بعم حبيبة خير الرجال بمن لا
بمن لا يُقرُّ على المنكرات وليس يُطاطى للمعسف^(٢)
همام يُحبك مهما فعلت به عن ولائك لا يتنفي
يراك أباه فمهما قسا عليه لتأديبه يعطف

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف وخبير .

(يتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فله ما كان أنقى هما ما وأشرف أخلاقه السامية !
 أضر سُنّه ثم يبقى ودوداً عليّ طويته صافيه ؟
 محمد : بقدر نبالة أخلاقه يحب حبيته الغالية !
 ثمادي به جُها فهو لا يقر القرار له ثانيه !
 بيت يناجي نجوم السما ويخضع أدمعه العاصيه !
 ويجلس في بيته للطعما م إذا ما أجاب له داعيه !
 فينهله الحب عما لديه حتى لتكفي الآنيه !!
 وإنني لأخشى عليه - إذا ثمادتم - الضربة القاضيه
 هنالك تخسر زين الشبا ب ونحرم أنفاسه العاليه !
 ويسألك الله عن مهجة - قضت بك مصلحة هاديه
 شهاب : (وهو يكي)

كفى يا محمد ! إنني أتيت لتكفير أعمالي الخاطيه
 فلو كان ذنبُ همام فحسب عليّ لحفّ على باليه
 أزوجه اليوم من حسنه فيغفر زلاتي الماضيه
 ولكنني قد عصيت الإله وعرضت نفسي للهاويه
 لقد غرّني وعد ذاك الولي بمحو خطيئاتي الخاليه
 وبشّرني أنه قد رأى قصوري في الجنة العاليه
 فلم أتزوّد لدار البقاء اتكالا على الزلف الواهيه
 فأيقنت ذا اليوم أن ليس بغير غير أعمالي الزاكيه
 وأن ليس بمحو خطاياي غير النصوح من التوبه الماحيه
 نصائح كان ينادي بها همام فنرمي بها ناحيه
 فما قد بدت لجميع الأنام مخازي مدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ
 فلا تبسّس ، إن ربّا هناك ليغي بك الخير في الثانيه
 « يريد شهاب النهوض فيممسكه محمد قائلا »
 وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـ
 هي اليوم بين يديه وما مُنّاي من التهر إلا رضاء
 ولكن. حديث (الرُشى^(١)) المسـ
 فما زال يلهج أهل الحمى بأن. (الوليّ) همام رشاه
 وأن شهاباً تسلّم أموال بكر ولم يُعطه مُبتغاه
 فقالت تؤخر تزويج حُسـ
 فما كان للمال إثارتنا ولكن لعلم وفضل وجاه
 فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حيناً ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همام إذا رُعته بالخير ؟!
 أقدم باقة زهر له وأطوى له الصلّ بين الزهر
 فلو رُحت تنصّحها بالعدو ل عن رأيها ! عليها تأتمر !
 علام تبالي كلام الطغام وما ينطقون بغير الهنر ؟
 وأعيان (سيوون) تدري الـ تحقيق وبعد غدٍ يظهر المستر
 سيُحبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهن القدر
ولا يروين عن الرأي لو وضعت بأيمانهن القمر
فكم قد سعت وكم قد نصحت ولكن كأنني نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـر (جاوّة) أو للبلاد الأخر
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمرُّ كلمح البصر
هنالك تبلغ سنّ الزّواج (حُسن) وتنضج نضج الثمر
وربّما عاد (سعد) إلينا فيزهو به عُرسنا إن حضر

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء

: (في جزع)

أهمامُ خَبَرَنِي بِوَدَّكَ لِي مَالِي أَرَأَيْكَ تَنْتَضِدُ الْكُتُبَا ؟
مَاذَا اعْتَرَمْتَ آأَنْتِ تَارَكْنَا لِلْحَادِثَاتِ تَسُومُنَا الْكَرْبَا ؟

همام

: (في حنو)

لَا يَا أُخَيَّةُ ! أَجْلِي جَزَعَا لَا يَنْسُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ الرِّبَا
سَفَرِي لَطَوَّلَ إِقَامَتِي سَبَبٌ وَلِرُبِّ بُعْدٍ أَعْقَبَ الْقُرْبَا

(يتغير وجهه)

إِنِّي أَخَافُ إِذَا مَكُنْتُ هُنَا أَنْ لَا أَطِيقَ فَأَقْضِي النَّجْبَا !
(يخالط صوته البكاء)

أَيَسَّرُ قَلْبُكَ أَنْ أَمُوتَ أَسَى فِي الرَّبْعِ إِذْ تَبْكِيَنِي نَدْبَا ؟
أَوْ مَا رَأَيْتِ الْقَوْمَ قَدْ قَطَعُوا صَوْتَ الْحَيَاةِ وَكَانَ قَدْ لِي !
حَفَلُوا بِسَمْعَتِهِمْ - كَمَا زَعَمُوا - لَكُنْهُمْ لَمْ يَحْفَلُوا الصَّبَا
لِيُمْتُتْ شَهِيدًا مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَتَوَهَّمُوا فِي عِرْضِهِمْ ثَلْبَا
آه ! أَهَذَا كُلُّ مَا أَمْنَعِي ؟ وَلَقَدْ وَهَبْتُ الرُّوحَ وَالْقَلْبَا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله)

فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسن ! معذرة فأهلك نا لهم الملام وما جنوا ذنبا
حاولت عتبهم بتوعدة لكسي لم أحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضى رأيت عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري فلأرى الخليفة كلها غضبي !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليني لأرحل عن هذي الديار فأسلو الحبا
فلقد لقيت به دواهي له رعن الجبال تركتها تريا
هيهات هيهات السلو ! ويا ليت السلو ياع أو يُجى !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى آت فسدل دونه الحجا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا جرت الدبور وهبت النكبا ؟
(آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه) :

زهراء

عفوا همام فليس قصـــــ
لكن شجاني أن تقا رقا وتركب ظهر يسم
إن البلاد لسوف تقـــــ
نجم يفيض هداية وسناه من خلق وعم
تبأ للهر دأبه يرمي أفاضله فيصمى
أيصدك مثلك عن مطا لبه ويمتع كل فدم ؟
أهمام إن كنت اعترمت على الرحيل فخبر عزم
إذهب وعذ عما قريب سب بين عافية وغنم
سيكون ربك حافظا لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تترك ما تؤمـــــ
تقي بحسن أن تعيد ك خففت حزني وهمي

همام

: (في حزن وأسف)

لكنَّ حُسْنًا لم تشأْ تنوير خطبي المذموم
 كم قد كتبتُ لها الرسا ئل بين مشور ونظم
 فتصدَّ عنها لا تجيب كأنها لا تعرف اسمي !!
 وطلبتُ منديلاً لها ليكون في الظلمات نجوى
 ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي
 أوي إليه إذا نزا قلبي بضم أو بلثم !
 ولقد أتاني ردُّها لكن تعثر فيه فهمي
 وإليك فاتليه ثم اقضي على حُسن بحكم
 (يناوها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالة :

حبيبة قلبي عليّني بتويـل
 أقضُ زمانِي في رجاء وتأميل
 بعثتُ إليك الكتب تترى ، فلم أفر
 بيعض جوابٍ منك يا غاية السؤل
 كأنني لم أحمل هوائك ، ولم يكن
 لقاءك قصدي في الحياة ومأمولي !!
 وهذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
 إلى عالم من رقعة الأرض مجهول
 أقضي به دهرًا قضيتهم به على
 حُشاشة صبّ عاثر الجدِّ مخنول

فجودي بما أملتُ منك وأجملني
وداعاً لمفتنون بحبك متبول
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ باللفا
بقطعة ثوب أو بشقة منديل ،
لعلني أسطيع ابتزاًداً من الجوى
بضمّي إياه لصدري وتقبيلي ؟
همام

الرد

جواؤك عندي ما تظنُّ ، فلا ترم
بكُتُبك إحراجي فإنك ذو علم
وإني فتاة ليس أمري في يدي
فإن شئتَ فاطلب ما تؤمل من أُمي
حُسن

زهراء : (تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همام أما جوابُ حُسنِ	فإنه أبلغُ الجواب
دلَّ على الحبِّ والتفاني	فيك إلى عِفَّةِ الجناب
وإنها إن تحبَّ يوماً	ففي حمى الصُّون والحجاب
إن كتاباً يأتيك منها	رسولُ أمالك العذاب
ما تبتغي أنتَ فوق هذا	يأتيك من غادة كعاب ؟
لولا هووى صادقٌ لديها	لم تر منها نصف كتاب
وسوف آتيك بالذي رُمِّ	تَه فلا تبوق في اكتاب

المشهد الثاني

(همام على حمارة في طريقه إلى الساحل (المكلا) بعد
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله البصري عامر يقود
جملا له يحمل زادهما)

همام	: رويدًا رويدًا جِمار البعادِ	فإنك تبعُدُ بي عن حيي !
	ولم يك خطوُكَ فوق الثرى	ولكنه فوق قلبي الكيب !
	أراك كنعشٍ بجسمي يسرُ	ولكن إلى غير قبرٍ قريب !!
	فيا بعد (سيوون) عني؟ ويا	ذُنُوكِ (جاوَة) من ذي السُّهوب !
	عليها السلام سلامُ الودا	ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب
	سلام على حسن بين العذارى	سلام على قلبها في القلوب !
	سلام على دارها في الديار	سلام على دربها في الدروب ؟
	سلام على أهلها الطيِّين	من كلِّ برٍّ كريمٍ نجيب
	سلام على وطنٍ طاهر	تضوُّع منها بمسكٍ وطيب
	سلام سلام على ساعدي الـ	أشدُّ وصنوى المطيع الأديب
	سلام على خيرة الأصلقا	ء محمدٍ الألعى الأريب
	سلام على لطف زهراء إذ	تفرِّج همي ، وإذ تعني بي !

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنك مُؤنسي وأنت عندى للكريم المحب
وما ضرَّ من ينأى - وأنت بكفه أنيس نواه - أنه يتغرَّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا
يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد كانت مزارع ما لها حد
كانت جنانا لا فجاء بها - غير الممر لراكب - تبلو^(١)
من عدوة الوادي القصي إلى الـ أهضام من حنّراه تمتد
عمر الجثود بها مواطنهم فغنّوا وعيشهم بها رغد
ما بعد عام الألف ما قنمت منه العهود وما بها بُعد
لما تحفّ بها مواطىء أق - ذمام الألى اشتغلوا بها بعد
البرّ والسمراء ، والنرة الـ بيضاء والأفواه والرنّد !
والنخل والأعناب حافلة بقطوفهن كأنها شهد !
والسّر يفرش في الفضا بسطا من سنّس خضرا فينسد
فهناك النعماء تخطر ما بين الحقول يزينها البرد
لله عيشهم فلا كدر يعتاق صفوهم ولا جهد
دعّ عهدها العاديّ من قنم . فلقد تقادم ذلك العهد
إذ كانت الأنهار جارئة تحت الجنان كأنها الخلد !

(١) الفجاء جميع فحوة . ورد في الرحلة التوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسقلة لا فحوة بها نخالة من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصدّقها	قوم عيون قلوبهم ومد
تلكم بقبابها تلُّ على	ما كان - سدُّ ثونه سد !
يحتاز ماء القطر يقسمه	بين الأراضي حكمها القصد
فتمت مزارعها فما فُتّت	فيها الغيوث تروح أو تغسلو
هي سُنّة الباري فما كثر الـ	أشجار فالأمطار تشستد

* * *

قف سائل الآثار كيف ذوت	تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تخبرك إن نطقت : وربّما	نطق الجماد وقوله الرشد
في بطن أرضٍ أنت واطنّها	همم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى	أن السعادة ركنها الجِدُّ
فلاهم خلف كأنهم	لا ساعد لهم ولا زند !
فَسَيِّلْنَا ترديدنا أبداً :	نعم الجلود وبست الولد !!

* * *

المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحثّ جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدّ الحلك
ونحنُ لَمَّا نأت بعدُ منزلك أبلغك الله بخيرِ بأمملك
ولا أصابَ الحبُّ يوماً مقتلَكَ

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب لا تذكر الحبَّ لعانِ صبٍّ
متى دعا داعي الهوى يُلبَّ إني أحسُّ ضرماً في القلب
يدفع في صدري ويكوي جني !!

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب
وهل سَعِدْتَ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبّ
لَمَّا يَفْزُ من حوضه يشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدٌ وإني وحدي أنا المعمود
من بعد ما طابَ لي الورود حلاتي عن حوضِها الصُّدود
فليس لي صَبرٌ ولا مَحَلُّود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ فالوصلُ مهما قلّ فهو عيدُ
تُشفّي به من دائها الكُبود لكنَّ هجري الأبدُ الأيْدُ

عامر : لَيْتَ الزَّمَانِ لِي بِهِ يَجُودُ وَبَعْدَهُ تَطْوِينُ اللَّحُودِ !!
يَظْهَرُ لِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَاكَ أَنْكَ تَهْوَاهَا كَمَا تَهْوَاكَ
يَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ وَجُودِي ذَاكَ إِذْنُ لَكُنْتَ حَامِلًا مَوْلَاكَ
وَمَا شَكُوتُ مِثْلَ مُشْتَكَاكَ

همام : عَامِرُ مَا زَادَنِي ارْتِبَاكَ أَنَا اشْتَرَكْنَا فِي الْهَوَى اشْتَرَاكَ
أَشْكُو نَوَاهَا وَهِيَ تَشْكُو ذَاكَ فَيَسْتَهْلُ مَلَمَعِي اشْتَبَاكَ
لَمَّا بَلَاهَا وَبَلَا أَخَاكَ

عامر : (فِي حَزْنٍ)

لَا تَحْسَبَنَّ هَجَرَهَا هَجَرَ شَرَفٍ لِفَرْطِ غَنَجٍ أَوْ دِلَالٍ أَوْ ظَرْفٍ
لَكِنَّهُ أَشْنَعُ ذَنْبٍ يُقْتَرَفُ تَتْرَكُنِي زَوْجًا إِلَى غَيْرِي تَرْفُ
وَصَلُّكَ عَقْلِيهَا مَعِي لَمَّا يَجْفُ

همام : رَبَّاهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ذُو شَغَفٍ يُسَلِّمُهُ الْحُبُّ إِلَى مَهْوَى التَّلَفِ
رَحْمَاكَ بِالْعِشَاقِ مِنْ جُورِ الْهَيْفِ مَا غَارَ مِنْ غُورٍ وَلَمْ يَلِ شَرَفِ
إِلَّا وَفِيهِ مَغْرَمُ الْقَلْبِ دَنْفُ

المشهد الرابع

(يصلان إلى حي عامر في الريدة (بلاد البدو) . يذهب
عامر لسقي جملة وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهية : (متتعبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلاً بمن وافى دار أخي عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر بما شئت فإنك الأمر
(تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بورك يا أخت فيك وفي عامر
سررتما عني بلبالي الثائر
سماحة البادي يجهلها الحاضر
ناهية : (منادية)

هلم يا سغدي هلم يا لبي
لنلم حيين ضيف أخيكنا
(تدخل فتاتان جميلتان متلثماتان وتصافحان هماما . ينظر
إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : (لهما)

إني أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاء ويك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إنا نرى العفة في الضمائر

همام : رأيت بلداً نصفه في السحب والنصف مبين
هي عليها يا نسيم واكشفني ذاك الجبين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟
ولو انجابت السحائب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بلداً يغازل
وسـتـزوي روائعي في هواها القبايل

ناهية : همام ! ما البلوى يا ت عند غيد المدائن ؟
الموقرات من التير حاليات المحاسن
كانما أنت بالبد و ساخر أو مدهن !!

همام : لا والذي فلق الحـ ب ، سره فيه كامن
لنسي المهي البلوى يا ت معجزات المحاسن
لحـاظهن سـهام لها القلوب . كنائن
قدودهن رمـاح في كل قلب طواعن
جمالهن للطبعني واخر بللفساتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر
تحمي حسان الخضر في الشعر ناسباً بما في البوادي من مهّيّ وجاذر
ما أوجه الخضر المستحسنات به كأوجه البديوات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرحباً بهمام النَّدب إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم فلعلكم تجلّون من كربى

ناهية : ضيفك يهوى البديّات ولا يحسب الحضريّات

عامر : أنجيّهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشّق في طباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دها ولحافظها مثل السهام الماضية
وتُمليني سكرًا طوال قلودها وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبني (مشيراً إلى لبنى)

وخذ إن شئتَ سعدى (مشيراً إليها)
(مشيراً إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضح المجلس بالضحك)

ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعراً يلفظني تمراً ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام

: إني لأدري من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجاً لها

عامر

: بأي شيء يُفضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام

: لقبله واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . ويتنع الحب صداه
يطبعها على الجبين ذاكرة كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخ الهوى بقبله الخدين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمراً عظيماً . ويبقى

ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي خنته في غيبته ؟
أيدّعي هواه من يُخفّره في ذمته

* * *

كأنني بالحب يلو نبي بسوط نغمته
ألحدتُ في توحيله لم أخش من عقوبته
أكلما لاح جمال همت في صبايته ؟

ناهية : عامر ! ما للضيف لَجْ غارقًا في غشِيته ؟
إنني أخاف أن يصا بَ في الحمى بميته

عامر : دعيه ! خليّه ! فإنني عارفٌ بمحتته
سينجلي عنه الذي أصابه من سكرته

همام : (باقياً في دھوله غير متبه لما بين يديه مستطرداً في حديثه)
يا حسنُ ! لا تعاقبي عبدك في جرمته
فقد أتاك تائباً من ذنبه وهفوته
ما كان إلا عابداً حُسنك في قداسته
يشهده في كل وجـ زاهر بفتته
في طلعة البدر ، وفي الظلي وحُسن لفتته
وفي زهور السروض في ريعه ونضرتته
وفي وجوه الغيد شيء من ضياء غرته
يختلف المحراب والبر بوحدايته

(يدار بهامر ويغشى عليه . ترتاع أخواته وتأخذن في
تنبيهه برش الماء عليه)

- ناهيّة : عامر !
- عامر : ها !
- سعدى : عامر !
- عامر : ها !
- لبنى : عامر !
- ناهيّة : قم يا عامر !
- همام : (مفقاً من ذهنه)
ما لعمام ؟ هل نـام ؟
- ناهيّة : (لنفسها)
(ثم لعمام) أما تراه ساقطاً مغمى عليه يا همام ؟
روعتما قلوبنا الليلة في هذا الظلام ؟
- همام : لا تخافي سوءاً على عامر إنني لأدري بما يعانيه عامر
أسمعيه اسم زوجه يصحّ من إغمائه
- ناهيّة : إنها لزوج غادر !
- همام : إن تكن غادراً فإن هولاءا لجّ في نفس عامر والشراشر !
- ناهيّة : إنه قد سلا هولاءا ؛ أيها ها وقد آثرت عليه ابن جابر ؟
- همام : صليقيني بأنه ما سلاها إنني عارف له وخامر
- ناهيّة : غصن ! يا غصن !

: (يمسح جبينه)

عامر

أين غصنٌ أ جاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!
راجعي يا منية القلب بالله فياني لما جئت لغافر !
(بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيردي - على رغم أنفه - وابن كاسر
يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته
أين غصنٌ أيمت جهة المخدع؟

ناهية

: يا عامر انتبه يا عامر !!
لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حينًا مئات الحرائر !

: (لعامر)

همام

عامر قم بنا فصلّ فرضنا
(يلغى للنسوة)

وقمن أنتن فهينن الوضوء
وقمن صلين جميعًا خلفنا

ناهية

: ويحك هل على النساء مفترض ؟
لا نعرف الصلاة هل تريدنا مثل الرجال للصلاة نهض ؟
حسب الفتاة عندنا استقامة بأن تصوم الشهر إذ ترمض

عامر

: حتى الرجال بعضهم يصلي والأكثر الأكثر من تخلّى !
وكنت فيما مرّ من أيامي أخشى من الخمس على أنعامي
فإن غضبت مرة على جمل رميته بركتين فاحتمل !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزئت بكرةً أو عنسا

همام : رياه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطئ الدعوة أرض العرب ؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئ الكتاب
من ساكني الحضرة ذوي الألباب إذ لم يشوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)

شغلهم قبائهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوا في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المخير
كاشف الضرِّ إن أصيبوا بسوء فإليه ابتهالم والحضور
وإذا ما ابتغوا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداية أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستجبروا
ويكونوا على هواهم نزولا يديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع ليضحوا سعداء وذنبهم مغفور

آه لو هُذِبَ البِدَاءُ لَأَمْسُوا وبهم للأتنام خير كثير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جملة وهمام يشد
حماره يتهيأ للسفر)

همام : (راكبًا على حماره وعامر يحث جملة)

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة
عامر : أنت الذي شَيَّيتَ بالتذكُّار نارًا بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟
عامر : كيف هزيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هزيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي استرح !!
أواه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الحُب الدعي !

همام : يا عامر اُتخذْ وخل الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منهاها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبي المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تخلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشرار بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي وعيبي الميت
لأسقين النفل موتاً أحمرأ وأروين من دمائه الثرى
وأفتكن بعده بالفاجره أقدفها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليّ غيرتي عليها تركي سواي أويأ إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدأ !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إبلاءً بعبداً الله أعظم من إبلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلاً منور الفكر وتغلو قاتلاً

عامر : همام إني شاكر وداك ونصحك المحوض واجتهادك
فإن أطق الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلب الشقا عليه فلست إلا من بني غزيره !

الفصل الرابع

المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت
عائداً إلى سيوون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكباً
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من
الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

: أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !
إن بي ظمأة لما بسـيـوون سلسـيـل
بُلّ مـي صدى الجوى واشف من جوفي الغليل
ليت شعري - وكادت النفس من يأسها تسيل
ومضت أربع طوائف - وعمر النوى طويل -
في انتظاري - والانتظا ر لأهل الهوى تقول
أتري الوصول لي متاح أم الوصول مستحيل ؟
أئذا ما دنوت ميلا تباعدت ألف ميل ؟
قسماً بالحبيب ! - أستغفر الله ! - بالجليل
لا أرى الوصول ممكناً أو أرى وجهه الجميل
وأراه بعين رأسي بلا حائل يحول !
وأحسّ اليمين في فرعه مرةً نحول !

همام

ضاق صدري ، وعيل صب رري وضلت بي السبل !!
وتناهى بي الجوى ويرى جسمي النحول
وتداعى أضالعي من نشيج ومن عويل
واستحالت قريحتي من ذكاء إلى ذهول
أتهادى كشارب جاحم في جوانحي
أوهنت ساقه الثمول !
كلما قلت : ذاب قلبي يتلظى بلا قيل
رج صدري خفوقه وغائبه منه غول
فحنانيك لا تلم ! فتوقفت أن يميل !!
ليت شعري هل لي إلى أو فلم أيها العنول
فأماني أو شكت ما تمنيت له وصول ؟
أن تموت من الذبول أن تموت من الذبول
أبحلني وحدي أنا الجد ب والخصب في الحقول ؟
أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أبا الحضر هل ترى رجلاً سيره ثقیل ؟
لست أحتاج أن تقول : أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائق ينهب الحزن والسهول
أخشى أن يفوتني « نصر » نجاب (باعقل)
(بصمت قليلاً ثم يقول)

أين نصر مني ؟ وأين من المضمير الهزيل ؟
أنا سيري منظم لا بطيء ولا عجول
وهو يشتد في النميم ل فيعتقه الذميل

أنا غول القفار وابــــ من الدياميم والمحول
لا أبالي إذا مشيتُ أذى الشمس والوحول
همام : ما لتجارنا عباديد شتى يتبارون بغضة وحقودا
كثروا عدة وقلوا غناء وأضاعوا بالافتراق الجهودا
وغدوا كل واحد يريد ما لهم لا يوحلون البريدا ؟
فيطيقوا إرساله كل أسبو ع ويجروا به نظاما سديدا
إن في طوفهم لو اتفقوا أن ينشئوا السفن في البحار عديدا
وبها يستغنون عن سفن لأجـ تب يصلهم العذاب الشديدا
ولقد كان للحضارم في البحـ ر سفين أيام كانوا أسودا
جاريات من الخليج لبحر الـ هند حتى (أندونيسيا) لتعودا
داؤنا أننا نخيب جماعات وقد نلرك النجاح فرودا
أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !
واصل السير لا مبيت - إذا شئت - أو مقيل

النجاب (متهكما) :

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل
هل تراني طيارة هل تراني أوتوميل ؟؟
(يشير إليه إلى طريق السيارات التي بدأ بإصلاحها بحضرموت
بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بصيحتها)

دونك انظر طريقه ! فتتهى عما قليل
همام : ليتـه قد مشى فأو صلي الليلة (السحيل)^(١)

- التجارب : لا رعى الله عهدَه : إنه عهد عزرائيل
لا تقدره يا الهى وعسّر له المسيل !
وإذا تمّ فأبْلَسَهُ بأذى البدو والقييل !
وإذا ما مشى فلا فارق الوحل والسيول !
همام : قسّل لي لأية علة أبغضت خلقاً من حديد ؟
ماذا جناه عليك حتى سى خلته الخصم العنيد ؟
التجارب : هو قاطع رزقي القليل : من كل جمّال وحمّ
أتريدنى كالخضر إذ خالوه مفتاح السعود ؟
وبشير آمال النهو ض وفجر أيام الصعود
تعبسوا وخاب رجاؤهم وتعثرت بهم الجلود !!
همام : (لنفسه)
فهمّ الفتى البدويّ ما لم يفهم النّسّ الرشيد
(ثمّ للتجارب)
حيّيتَ من فطِن فدا وُك كل ذي ذهن بليد
ما قلته كاف ليُمّ قَت ما يضر ولا يُفيد
ووراء ذاك سوام أبرص تنفث السم المبيد
سُلّ الممالك والشعو ب وهیضة العصر الجديد
من كل لص قاتل للمال والخلق الحميد
لكن ظلم الناس بعب ضهم لبعضهم عتيد
ليعيش فرد واحد لا بأس من شعب يبيد !!
ولسوف يجنون النسا مة منه والأسف الشديد !

المشهد الثاني

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب
الوادي مدينة « سيون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها
إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية مخوفة بهالة عظيمة من خضرة
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام	:	أهذه سيون أم	حنة عدن أزلقت للمتقين
		للله ما أجملها	منظرها الزاهي يسر الناظرين
		تحسبها — من بُعد —	حديقة خضراء تسقى من معين
		قد نثرت في تربها	جنايد اللؤلؤ والدر الثمين !
		تفوح في أرجائها	روائح الورد وعرف الياسمين
		يحنو عليها جبل	كما تضم طفلها الأم الحنون !
		تضرب في أجوائها	منائر تخفى مراراً وتبين
		كأنها أعمدة	قامت عليهن السماوات المثون
		تجعلها الرياح في	تلعبها أهدافها إذ ينبرين
		أو كقرون حامل للـ	أرض على قرنيه فيما يزعمون
		أثقله أنامها	فمرقت من جوفها تلك القرون
		قبابها زاهية	لو لم يكن حرمها أسمح دين

(همام في بلاد الأحقاف)

هَدَمَ بَعْضُهَا (بنو الـ توحيد) فيما قد خلا من السنين
فَهِيَ تَرَى كَأَنَّهَا بِيضُ نَعَامٍ أَجْفَلَتْ مِنْ صَائِلِينَ
رَبِيعَتِ فِدَاسَتِ بَعْضُهُ فَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ فَلِيقٌ وَطَحِينُ

* * *

لَسَنَ يَكُنْ مَنَظَرُهَا وَحُسْنُهَا الزَّاهِي مَتَاعَ الْمُبْصِرِينَ
فَإِنْ فِي مَخْجَرِهَا خَيْرُ مَتَاعٍ لِقُلُوبِ النَّازِلِينَ
تَفَرَّدَتْ حِسَاتُهَا بِالظَّرْفِ وَاللَّيْنِ إِلَى خُلُقٍ مَتِينِ
وَرَقَّةٍ كَأَنَّهَا نَسِيبُ (عباس) أَرْقَتِ اللَّحُونَ
كَأَنَّمَا أَنْتَ إِذَا جُرْتَ بِهَا تَخْطُرُ مَا بَيْنَ الْغُصُونِ
إِيَّاكَ مِنْ لِحَاطِهَا إِيَّاكَ أَنْ تَصْرَعَ مِنْ سِحْرِ الْجَفُونِ

يتهد

كَأَنَّ (حَسَنًا) أَفْرَغْتَ عَلَى رِبَالِهَا مِنْ جَمَاهِلِ الْمُبِينِ
نَضَارَةً كَخَلِّهَا تَعْبُ حَتَّى تَرْتَوِي فِيهَا الْعِيُونَ
وَرَقَّةٍ فِي جَوْهَا كَمَا تَنْدَى خَجَلًا مِنْهَا الْجَبِينِ
فِي مَائِهَا حِلَاوَةٌ مِنْ رَيْقِ حَسَنِ مَا لَمْ يَمُورِ الْأَنْدَرِينَ؟
وَفِي حَمِيٍّ شَمْسُهَا مَلَا حَةً مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْحَسِينِ
وَفِي قَلْبِهَا غُلُوبٌ مِنْ قَدْ حُسْنٍ هَيْفٌ بِهِ تَزِينِ
صَبَاحُهَا الْفَضَّةُ قَدْ سَالَتْ عَلَى زِمْرٍ مِنَ الْغُصُونِ
وَذَهَبٌ أَصِيلُهَا يَتَعَثُّ الْأَنْسَى وَيَهْتَاجُ الشَّجُونِ
مِنْ غُرِّهَا وَثَغْرِهَا وَوَجْتِهَا بِسَرَقَاتِكَ الْفَتُونِ
وَلَيْلُهَا مُعْتَمِرٌ كَفَرَعِهَا فِي عَرَفِهِ وَفِي الدُّجُونِ

مدينة شبيها في حضرموت وسواها لا يكون
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في طو مشين
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون
كأنهم قياصر يُسدّون المال لا يكثرثون
ولا يفكّرون في خلمتها بالنزر مما يجمعون
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو تجارة
لينفعوا أوطانهم بها إذا عادوا إليها راجعين

* * *

المشهد الثالث

(همام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة
خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام	: محمد
محمد	: لييك !
همام	: ماذا ورايك من خير ؟
محمد	: ليس عندي خير

سوى أن قلبي مستبشر
وأنتك سوف ترى من تحب
بنيل النسي وبلوغ الوطر
قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مرية بعد في
فقد درجت في انتظاري السنو
لقاء حبيب فؤادي الأغر
ن وما بل من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جمادى اللقا
ء تلاشت جماداهم في صفر

محمد : همام زمان المطال انقضى
أتغري بقلبك برح الشكو
وهذا أو أن الوصال ابتدر
وأهلوك في نشوات الحبر
وأكدت أمس على المطرب
ن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضرونا مساء الزفاف
وصبح الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو
ن بذلك ؟
محمد :

همام : خشوا المانعين لهم أولاً
ومنعهم الناس أن يطربوا
فداويت بالمال ذاك الحذر
سوى كبريائهم والأشر
محمد ! لا أبتغي المطربين
لتلا يقال : لحظ هوا
على أنني لك ممن شكر
دعا للمساواة بين البشر
وإن سروري بالوصل لا
ولكن سيزدان بالمطربين
زواجك ! هلاً به تفكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد القيل ، وحيد البكر ؟
: همام رويدك ! محمد

« يتلوه البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

: (لنفسه) ويلاه مال صديقي أدمعه تبتلر ..؟ همام
أشوق عليه كلامي ؟

(ثم لمحمد) محمد — سيد زلت لساني ألا تغفر ؟ محمد
: (لنفسه)

إلهي أبحت بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

: صديقي أتحسب أنك سؤ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر ثم لهمام
أمثلك يرحني قوله ؟ فذلك لعمرى إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جئت حتى تنصل أو تغنر ؟
همام كتمتك جهدي الهوى ولكن أبي الحب أن يستتر
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف في الخور ؟
وكنت ألوملك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر !
وأعجب كيف تصول الظبا ء على الأسد؟ حتى رماني القلرا

: محمد ! لا تحبسنَّ الدموع ودعها على رسلها تهمر ! همام
فإن القلوب إذا أجديت بحزن فإن الدموع المطر !
وقل لصديقتك أي الظبا ء رماك وصرح له بالخير
فما في الصباية عار على فتى طاهر الذيل عف الأزر

عبد

: (يكفكف من دموعه)

همام أتذكر « علوية » نصبرتنا في الجهاد العسير ؟
 سليله طه ، فتاة الحصى ، مثال الكمال مثال الطهر
 أتسى يوماً على حالة تذيب القلوب وتجري العبر
 محمد ! هذا أوان الغيث من هذا أوان تلاقي الخطر
 مضت ليلتان وما عندنا من القوت شيء به نعصر
 وأختي غارقة في السقا م واني لأحسبها تحضر
 وزوجة عمي في طلقها تعاني المتاعب والوقت قر
 وعمي سافر منذ شهر ر فلا عاش مضطره للسفر
 وكان لدينا بحانوته يعيش ويتجر فيمن تجر
 فشنع إخوانه بل عداه عليه ، وقالوا : لئيم قنير
 يندس أحسابنا إذ يرو ح إلى السوق كالنفس أو يتكر
 فما أنهت القول حتى غلر ت ويوشك قلبي أن ينفطر
 وأذهلها الحزن عن موقفي فلم تحفظ ولم تستتر
 فأبصرتها من خلال الحجا ب كما لاح بين السحاب القمر
 رأيت الجمال ، رأيت الجلال رأيت الهوى والشباب النضر
 وراحت تنث علي الشأ بما قد قضيت لها من وطر
 وقد تركني سليب الفوا د قليل القرار ، كثير الفكر
 أردد أقوالها في الضمير ترن بأذني كصوت الوتر
 فهأنذا بعدها يا همام قصير الرقاد طويل السهر
 رحمت قاسفت ثم انتيت وفي كبدي مثل وخز الإبر
 فلطفك يا رب فيما قضيت فلم ينبع مما قضيت الحذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واضراح العتاب مني قبيح
أكذا تكلم الخواصن عني وما دونها إليك أبوح ١٩

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعف عني فأنت عني صفوح
إن عيب الهوى عليّ ثقيل وبشيك سره أستريح
غير أنني كمتك عنك جهدي حنراً أن ينالك التريح
ولو أنني نظرت فيك لحظني يا خليلي للذي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسل عنه فإنه مطروح
إن ما أنت أمل سوف أغدو ساعياً في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضاك وحسب المليح زوج مليح
محمد : (لنفسه)

هو يدري بأن ما أتوخا هـ محال من الأمور طروح^(١)
فهو يغني بذلك تخفيف حزني إنني بالأسى إذا لذيح

* * *

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام) .

القينات	:	نحن نزف الشمس	والشمسُ في ضُحاهَا
		فما أجملَ عُرْسَا	يغمره سَنَاها !
الجمهور	:	نحن نزف الشمس	والشمسُ في ضُحاهَا
		فما أجملَ عُرْسَا	يغمره سَنَاها
القينات	:	نحن نزف الحيا	نحن نزف المُنَى
		نحن نزف الضَّيَا	نحن نزف السَّنَا
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	يا عُصْبَةَ الغواني	هَلِمِ للتطريب !
		اشدون بالأغاني	واهتفن بالنسيب
		واضمُدنَّ بالأمانِي	دوامِي القُلُوب

الجمهور	:	نحن نزف الشمس
القينات	:	حين بالسلام
		واقتان بالانغام	هذا الشعاع المسكوب !
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	روائح الجنان	تبقى من هذي الثور
		كأنما المغاني	أمت مراقص الحور !
		نحن نزف الشمس
	
القينات	:	نحن نزف الملك	في صورة الإنسان
		يجلو ظلام الخلك	ويقشع الأحزان
		فهل لديكم فلك	بنوره يزدان ؟!
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	يا قمر السماء	غض الجفون أغض
		بالذكر والأسماء	عوذت بدير الأرض
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	

(يقتربون من بيت همام)

القينات	:	سُقْن إلى همام	جمال هذا النادي
		واحلون للضرغام	لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نزف الشمسنا

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار
النسوة اللاتي زفن « حسناً » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن
بالدفوف .

القينات : اليُمن والإقبال والسعد والسعادة

للمُعَرسين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نزف الحُسننا نحن نزف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نزف بُنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنا كالمأمون إن زفتهم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تَكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : التصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرّة النفيسة

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحُرّة المصونة وربّة الجمال

للدرّة المكنونة واسطة اللاّلي !

نسوة الدار : لمفحّخر المدينة لسيد الرجال

نسوة الزفاف : النّاس يعرفونه بكرّم الخلال

نسوة الزفاف : النور والشّعاع ووهج الشموس

والجواهر اللّماع	وحبّ الكؤوس	
جميعها أشياع	لهذه العروس	
: أجدد والكمال	وكرم الأخلاق	نسوة الدار
والقول والفعال	وحسب الأعراق	
جميعهنّ آل	عروسنا الفيداق !	
: نحن نزف الحسنات	نحن نزف بلقيس	نسوة الزفاف
نحن نزف لبنى	فهل لديكم من قيس ؟	
: همامنا كالمأمون	إن زفتم بوران	نسوة الدار
وإن تكن بلقيس	فإنه سليمان	
: كلا العروسين زين	للمجد والعلاء	القينات
فلا تفاضلن بين	سراجي السماء	
أين المحرّة أين	كواكب الجوزاء	
أصوغهنّ للذين	تاجين بالسواء	
: يارب باركهما	في ذا الزواج السعيد	القينات ثم الجميع
واجعل زمانهما	كأنه يوم عيد	
وانفتحهما بالوئد	مثل دراري النجوم	
في ظل عيش رغد	وفي صفاء يلوم	

الفصل الخامس

المشهد الأول

علوية : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدَّتِي حُسْنُ؟ مَرَحَبًا بِكَ يَا أَحَدُ - ت !

حسن :

وَقَاكَ الْإِلَهُ مَا تَحْذَرِينَا !

علوية : مَا الَّذِي تَشْتَكِينَ ؟ نَفْسِي فِدَاءُ لَكَ مِنْ كُلِّ عِلَّةٍ تَشْتَكِينَا !

علوية : أَقْصِرِي حُسْنُ أَنْ تَمْنِي عَلَى رَبِّكَ سَوْءًا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَا

بَلْ سَلَى اللَّهُ لِي الشِّفَاءَ عَمْسَى أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَسْأَلِينَا

أَوْ سَلِيهِ لِي الْعِزَاءَ فَإِنِّي لَا أَرَى الدَّاءَ تَارِكِي أَوْ أَبِينَا

حُسْنُ ! إِنِّي أَحْسَنُ فِي الصَّدْرِ نَارًا تَنْلَقَى كَأَنَّ فِيهِ أَتُونَا !

أَشْرَبَ الْكَأْسَ بَعْدَ أُخْرَى مِنَ الْمَاءِ فَلَأُتَوِي كَمَا تَرْتَوِينَا

أَحْسِبُ الْمَاءَ يَسْتَحِيلُ يَجُوفِي لَهْبًا فِي الْحَشَى يَمْنُ أَنْيْنَا

أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَ الْمَاءَ ، وَلَا الْمَاءُ قَادِرُ أَنْ يُعِينَا !

حسن : لَا تَخَافِي سَوْءًا فَمِثْلُكَ فِي الْعَفْءِ سِةٍ وَالتَّبَلُ مَا نَمَى الْوَالِدُونَا

تَبْذَلِينَ الْمَعْرُوفَ جَهْدَكَ لِلنَّاسِ ، وَتَوَلِّينَ مِنْهُمْ الْمُسْكِينَا

وَتَرَاغِبِينَ لِلْحَوَارِ حَقُوقًا وَتَوَاسِعِينَ بِأَتَمَّاسَا وَحَزِينَا

وَتَوَالِيْنَ مِنْ يَحَامِي عَنْ الْحَقِّ وَإِنْ غَاظَ فَعَلْكَ الْأَهْلِينَا

فِيهِ الْوَرَى سَيْرَعَاكِ ، لَنْ يَتَرَكَ يَوْمًا عِبَادَهُ الْمُحْسَنِينَا

علوية : قدك ؛ هذا جميلٌ ظنك في أحد
 إن ربي بخلقهِ للطيفُ
 غير أن العباد بعضهم يظن
 أنظري هل لي سوى ظلم أهلي
 وتصديهم لما ليس يعني
 مات زوجي ووالدي فلم يُبق
 غير عمي - وأنت تدرين ما عم
 قد وهى جسمهُ ، وخارت قواه
 أجاؤه إلى السفار ليجلو
 زعموا أن بيعه وشراه
 ثم إنني مكثتُ في عصمة الأيـ
 لم يجئني منهم ليخطب ودي
 وأبي عالم وجدتي خير
 ولعل المرأة تصدق عني
 : بل تعالى الذي براك ، وحلاً
 سطعت أنوار النبوة فيه
 : وأتاني محمد وهو من بيت
 رجل يملأ الصدور كمالاً
 كان لي كلما تضايق حالي
 وهو كفتي وكفاء أفضل مني
 فأتوا يزجروني عنه حيناً
 ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

ستك ، لا خيب إلا اله الظنونا
 يتولى عباده الصالحينا
 لم بعضاً ، عن ربهم ساهونا
 لي وأبناء عمي الأقرينا ؟
 هم ، وعن واجباتهم يعرضونا
 لي الدهر عائلأ أو خدينا
 سي ؟ فقير يناهز الستينا
 وابتلاه السقام حيناً فحيناً
 عنهم العار ، هكذا يزعمونا
 يكسوان الأشراف في القطر هونا
 هم وفي ربة الزواج سنينا
 أحد غير فتية عاجزينا
 وأصولي أئمة متقونا
 إن وجهي ما كان في الحسن دونا
 لك جمالاً يحير الناظرينا !
 فاستحالت مباحجاً وفخونا !
 حسيب أصلاً كما تعلمينا
 وخلاً كما يسر العيوننا !
 ساعداً قبل خطبتي ومعينا
 حسباً أو فضيلة أو ديننا
 ويسوموني التهلد حيناً
 فأتوا بعد ذاك يستبقونا

حسن

علوية

ما ثنّاهم عن خطيبي غير فقري ليس عندي ملمال ما ينشلونا
 ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دوننا
 وانسروا بمنعوننا من سواهم فلمن ويخنا إذا يتركونا ؟
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقّت الشئوننا ؟
 رب ! كن لي وللتبعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : ممّ تبكين حسن ؟

حسن : من أجل بلوا كِ فؤادي أحسه مطعوننا !

علوية : تب ذا العيش ! لا هوى لي في العير شئ إذا لم تحظي عن تعشقيننا

حسن : أقصري حسن ! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا

حسن : نحن نحكي وأنتما ؟

علوية : فوقنا الله ————— ه سياسو جراحنا ويلينا

فوقنا الله ..

حسن : فوقنا أيضاً الله ————— ه سياسو جراحنا ويلينا

* * *

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حيي ؟	
همام	: أجل مُنيّ !	
حسن	:	أمالك في قبلة ؟
همام	: (يهوى إليها)	تعال إلى جانبي أمالك في ضمة !
	بلى يا حياة الفؤاد ، وليك يا مهجتي !	
	هيبي لمالك هيبي أطفئ به غلتي !	
	هلمسي نطف بالحياة	ة كالنحل بالزهرة !
	فما في المنى مثل قبـ	لة الزوج للزوجة !
	تعال بها نعمة	وحسبك من نعمة
	ونجني بها لنة	وناهيك من لنة
	وهل كنعميم يجيء	من الله بالرحمة ؟ !
حسن	: حيي ! أمالك عن	هوى الشجر من توبة ؟ !
	أبي أنا وحدي نسيـ	بك أم بي وبالنسوة ؟
	أرى نبرات العمو	م تعصف بالوحدة
همام	: حية قلبي ! أقلي	علي من الغيرة
	هلم ادخلي للفيـ	وافضي لي إلى الحبـ
	فهل تجدين بها	لغيرك من علقـ

- حسن : كذا فلتكن لي في حياتي وفي موتي
فما في حياتي خشيتُ بل بعدها خشيتُ !
حيي اغتسم ساعة من الصفو والبهجة !
فقد لا تطول حيا تي ، وتقصر بي مدتي !
- همام : دعي عنك هذا ، وقو لي سوى هذه الجملة
بربك لا تذكر لي لنا شبح الفرقة !
فلم نسترح بعد من متاعبها الجملة
ولم نقض بعض اللبا نة من هذه اللقية
- حسن : (تبكي) أحس كأن الجما واشفق على عيوني !
ويهمس لي خاطري مَنني على خطوة !
همام : دعي عنك هذي الوسأ بَأني على رحلة !
ووجهك هذا الجميل وسَ ، جسمك في صحة
وسوف تجوزين عُمـ ل يَبُيع بالنضرة
حسن : سَـلِمَتَ حيي لي ! رَـجَدَكَ والجلدة
- همام : ولي أنت يا بُني !
- حسن : لقد زال عني الذي شعرت من الخيفة
وذابت همومي منـ ك في كوثر الجنة
- همام : فديتك ! حُسنٌ ستبقى بيبي كالشمعة !
وتأذن لي بالرحيل لأَم القصرى مكنة
وتدعوني لي الله أن يُقصرَ من غيبي
كما تترجأه أن يحقق لي طلبتي

حسن : أحجاً تريد ؟
همام : أجـلـ وشيئاً من القرية
لأسعى هناك لتزويجـ سج خلتي من خلتي
محمد جلف الفرائش ينوء من العلة
أضر به اليأس في هـواه لعلويـة
وأخشى عليه المتـة من هذه الصدمة
وأخبرني أنه يمـت إلى العـرة
وأن بأم القرى معالـم ذي النسبة
فقد جاء منها أبو هـ إلى هذه البلدة
وقشش في النسوة الـ شرائف عن زوجة
فقالوا له : لاتمـا ثك في بيتا أثبت
فشارت به غضبة وبورك في الغضبة !
ومالت به عـزة وبورك في العـزة !
وقال إذا لم يـكن لدي سوى نسبي
فلا بـارك الله في خلالي ولا همـتي !!
وزوجه ذو الجلا ل من أمه البرة
فعلش سعيد الفـوا د بها هاني العشرة
كذا عن أبي أمـه حكى مجمل القصة
: همام ! يـمن الإلهـه وفي الحفظ والعصمة !
يرافقـك الله في خطي هذه السـفرة
وإنني لمسـرورة برعـيك للصـحبة
ومن كمحمد في ولائـك والذمة !

بِحَبِّكَ عَطَفَ لِي عَلَيْهِ وَحَبِّي لِعُلُوبِي
 أَلَمْ يَسْعَ عَيَا قَبْلُ فِي دُخُولِكَ فِي عَصَمِي ؟
 أَلَمْ يَهْدِلَا الْجُهْدَ فِي هَنَاتِكَ أَوْ غِبْطِي
 وَقَدْ عَدَّتْهَا أَمْسٍ وَهِيَ تَقَعَّقُ بِالزَّفْرَةِ !
 بِنَفْسٍ تَرِيدُ الْحَيَاةَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ !
 تَسُوحُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَزْخَرُ بِالْحَسْرَةِ !!
 وَقَدْ أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا فَبَكَيَ بِلَا دُمْعَةٍ !
 رَثِيتُ لَهَا يَا هُمَامُ ! وَخَفْتُ عَلَى خَلْقِي
 لِأَنِّي أَرَاهَا تُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ خُفْيَةٍ !
 فَمَنْ أَجْلُهَا يَا هُمَامُ شُكُّوكِي فِي صَحْفِي
 وَإِحْسَاسُ قَلْبِي بِأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ النُّقْلَةِ
 وَلَكِنْ لَعَلَّ الْإِلَهَ يَكْشِفُ مِنْ مَحْنِي
 سَأْمُضِي لَتَبَشِيرِهَا وَتَفْرِيجِهَا بِنَفْسِي
 لَعَلَّ بِهَا أَنْ تَكْفَى مِنْ عَلَنِ اللُّوْعَةِ !

المشهد الثالث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه
المعجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه
بـد مرتعشة فإذا هو من حيثته علوية وإذا فيه) :

يا حيبي ! مني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حيبي إن المنية جأتم كلنا شاربٌ بذلك الجأتم
والسعيد الذي يموت سليم الـ قلب عَفَّ الرءاء من كل ذام
فمتى جاءكَ النَّعْيُ يموتني فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزاع يا حيبي فصيراً لا تضعضع لحادث الأيام
ووداعاً! إلى اللقاء! على الكوثر! في الخلد! في جوار السلام!
إن تحمل بيتنا الحياة فقي الخلد سد سنحظى بلقية ووئام
سيرى الحائلون دون الجيبين جزاء الإله ذي الانتقام
علوية

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد
ومشقة)

هي في الترع! آه ما أعظم الخطب وب وأقسى على فؤادي اللامي!
هي في الترع! ربّ هون عليها! حسبها ما رأت من الآلام!
منعواها الحياة ظلماً فأودوا نجيّة بريرة الأحلام
رب! لاخير في الحياة! فألحقني بها واكفني عناء السقام
هي روح الوجود مني وما يُصدّ تنع بعد الأرواح بالأجسام ؟

أَكْذَا نَتْرَكُ الوجودَ ولم نَحْ — ظَ بُوصل ، ولم نَقْرَ عِرام ؟
أَكْذَا يُرْفَعُ البِساطُ وما دا رَتَ عَلَى العاشِقِينَ كَأْسُ مدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب ماذا أَحْسُ ؟ هذا فَتور عَجَبَ في مفاصلي وعظامي !
خار جسمي فما أَطيق حراكًا ! وتناهت بُرودة الأقدام
ما لرأسي أضْحَى عَلَيَّ ثَقِيلًا وجفوني يُغْرِينَنِي بالنام !
ويدي لا تطيق حمل سِواكي ! ولساني تعثرت بالكلام !
وفؤادي دقاته تتوالى علَّ هذا نذيرُ قرب الحِمام
(يتذكر صديقه همامًا)

أَيْنَ وَلَّى همامٌ ؟ يا ليتَه عَندي أراه في مُتَهَيَّ أيامي !!
نضر الله وجهه من صديق مخلص لي على مدى الأعوام
كم هداني من الضلال، وكم عَدَّدَ سُبُلَ الحياة من قَدَامِي
أَمْ صوبَ الحجاز في لفحة الصيف ف حريصًا على قضاء مرامي
ليس يدري أنني بِمَدْرَجَةِ الموتِ وَأَنِّي عَلَى شَفِيرِ الرَّجَامِ
ومضى غيرَ عالم أَن حُسْنًا مُنِيَّتَ بَعْدَهُ بِحُمَّى لِزَامِ
ليت شعري إِنْ جاء نعيي همامًا ثم ماذا تكون حال همام ؟
أَوْ أَصِيتَ - لا قدر الله - حَمْسًا فَهِيَ أَدهى فَجائِعِ الأَيامِ !
وهو في غُرْبَةٍ وليس لديه من يَهْدِي فؤاده المَترامي !
مُنَّ يا رب بالشِّفاءِ عَلَيْهَا لا تَنزُهَا رَمِيَّةً لِلسَّهامِ

* * *

إِنْ مِنْ خَلْفِهَا قَتِي يَنْصُرُ الْحَقَّ جَهَارًا وَعَنْ هَذَاكَ بِحَامِي

شع من هديه على القطر نور
واستعداد الجمود سلطانة الضحك
هي سلوانه الوحيد من الدن
عونه إن جنى الجهاد عليه
فيأذا مات عاد للإسلام
وعزت سواعد الأوهام
يا إذا ضاق بالخطوب العظام
وأراه تنكسر الأقوام
(يمسك يديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص! فصيراً
وستلقى الحبيب في ربوة الخل
وسأغدو إلى الإله فيعفو
وسأشكو إليه من رزأوني
وأراقوا دمي البريء ، وضحواً
تخفوا الدين جنة يتوقو
فسيدرون أنسي علوي
غير أن الحمام أهون عندي
وإدعائي به على الناس فضلاً
عز دين الإسلام ! قد جعل النا
لم يدع ميزة لزيد على عم
سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!
د يحبك ثغره بابتسام !
عن ذنوبي وسالف الآثام
- في ربيع الحياة - في أحلامي
بحبي في مذبح الأوهام !
ن بها في المورى سهام الملام
تنتهي نسبي لخير الأنام
من فخاري بالجد والأعمام
يتقاضاهم رسوم احتراممي !
س سواء في شرعه المتسامي
رو ، ولا حارث على همّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترونو إليه
في ذهول وتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)
إصبري يا أماه ! فالله أبقي لك مني ومن جميع الأنام !

(يصبو نظره إلى السماء)

رب رفقاً بقلبه المتشظي ! وحنانك بالدموع الهوامي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي فتنادي وليس رب الطعام !
كن لها إن أتت سريري لإيقا ظي ؛ فتزد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعان كبيرتان ويدخل في دور
الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب ! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحباً بوفد السلام !
رب ! إني آمنت أنك أنت الله رب الجلال والإكرام
ونبيي محمد سيد السادات طه إمام كل إمام
كل زادي إليك خالص توحيد علي فهب لي يا رب حسن الختام

* * *

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه
موزع البريد ويسلم إليه بركة من عدن . يوقعها همام فيخرج
الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟
إنني أحس كأن حادثة جللا ستفجئني على مهل
يا برق ماذا أنت تحمل لي إنني أراك تَـوَّء بالنقل !
قلبي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثني على جهل

(يفتح البرقية ويجمل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حُسنٌ ؟ واكبدي

ربَّاه ..! خذ يدي ! ربَّاه ..! خذ يدي !

(يسقط من مقعده على الأرض مغشياً عليه . يسمع جاران

له من الحجاج هدة سقوطة فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويورشه
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلق لأشهد من
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي يمدّده دم الكبد !
يا رب لم يبق لي في العيش من أرب
فلقني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أما انت إذا حسن؟ ومات محمد ومات علي أتر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي يوم فقدتهم! فيا لفؤاد! أنخنت طعناته ؟
ينوب من الشكوى ويلمى من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته
محمد يا خير الأخلاء! والذي صفت مثلما تصفو المدام صفاته
حناتيك لا تبعد! لمن أنت تاركي؟ لقاسي زمان أولعت بي غداته ؟
ويا ساعد الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أَمْحُضِي وَلَمْ نَهْتِكِ مِنَ الْجَهْلِ سِرَّهُ وَمَا انْفَضَّ عَنْ صِرْحِ الْجَمُودِ حُمَاتِهِ ؟
 أَمْحُضِي وَفِي جَنِيِّكَ قَلْبٌ مَعْطَشٌ مِنْ الْحُبِّ لَمْ تُبَلِّلْ بِوَصْلِ لَهَاتِهِ ؟
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِانْتِسَابِكَ وَاضْحًا تُغْصُّ بِهِ حَلَقَ الْحَسُودِ شَجَاتِهِ ؟
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِانْتِسَابِكَ وَاضْحًا تَكْفُفُ بِهِ طَرَفَ الْحَسُودِ قَذَاتِهِ ؟
 وَكُنْتَ عَلَى قَابِ مِنَ الْوَصْلِ هَائِلًا تَطْلُقُ عَنْ غُرِّ الْمَنَى بِسَمَاتِهِ ؟
 وَأَنْتِ فِتَاةُ النَّبْلِ وَالطُّهَرِ وَالْحَجَى تَغْشَتُكَ مِنْ رَوْحِ الرِّضَى نَفَحَاتِهِ
 لِمُضَاعَفٍ مِنْ حَزْنِي فِرَاقِكَ أَنَّهُ فِرَاقٌ بِهِ لَاقَتْ حَيِّبِي وَفَاتِهِ
 أَرَأَيْكَ وَفَاءً مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهُ فَدَلَّى لِحَبِيبٍ بِالْوَفَاءِ مِمَاتِهِ
 وَلَمْ أُنْسَهُ لِمَا رَأَيْتُكَ مَرِيضَةً فَجَاشَتْ بِهِ فِي مَشْهَدِي حَسْرَاتِهِ ؟
 (تَهْمُرُ دُمُوعَهُ)

يَقُولُ : كَأَنِّي يَا هُمَامُ سَأَنْتَهِي كَأَنِّ جِمَامِي قَدْ أَقِيمْتَ صَلَاتِهِ !
 فَقُلْتُ لَهُ : دَعِ عَنْكَ وَهْمَكَ، إِنَّ ذَا حَيِّيكَ نَضَّرَ لَمْ تَحُلْ قَسَمَاتِهِ !
 فَاصْغِي لِقَوْلِي وَاطْمَئِنِّ فِرَاوْدَهُ وَفَرَّتْ - عَلَى سُخْرِ الرَّدَى - رَجَفَاتِهِ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنِّي أَنَا وَاهِمٌ وَأَنْ حَيِّبِي صَادِقٌ كَلِمَاتِهِ !

(يَرِيدُ أَحَدَ الْجَارِينَ أَنْ يَقِيمَ هُمَامًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَجْذِبُهُ)

(صَاحِبُهُ)

دَعْنِه يُرْسِلْ دَمْعِه	من بكى الشجوا استراح
وَإِذَا مَا كَبِتَ الْـ	حُزْنَ فِي حَنِينِه طَاحَـ
وَيَحْه مِنْ مُوجَّع :	دَمِيتُ مِنْهُ الْجِرَاحَ !
صاحبه :	ما عليه الآن بأ
همام :	حييي ! مالي في رثائك مقول
	رثاؤك في قلبي يهدأ أضالعي
	ولا يستطيع الشعر وصفاً لهوله
	على أنه الشعر الذي الشعر دونه
	وإن قريضاً أنت مصدر وحيه
	يميل يعطف الكون قدسي لحنه
	تَقَطَّعْ أَعْنَاقَ الْبَلَاغِه دونه
	تَغْصُ بِهِ حَسَادِه وهو سائغ
	ولكنه الخطب الذي الخطب دونه
	ولو غيره أضحى به بعض ثقله
	فها هو ذا قلبي كسيراً عظمًا
	لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنما
	وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما
	فأنت الذي علّمت نفسي ركوبه
	وَلَقَّتْهَا حُبُّ الْهَدَى وَجَهَادَه
	أتمضي وما جفت رياحين عُرْسنا
	أتمضي ولما يَشْفِرْ قلبي أوامه
	سلام على قبر الحبيب ورحمة
	سوق قد صاح وناح
	كأن فمي شُكَّت يرمح لاهته !
	وتلقع في أحناثها ضرباته
	وتقصّر عن تصويره خطواته
	سرت في الورى مسرى الضجى بيناته
	لَتَسْجِدْ عُرَاهُ لَهُ وَمَنَاتِه !
	وتعذب في سمع الدننى نغماته
	وتزهى به بين الأنام رواته
	وأقبل ماءً للحسود فرائه
	تلقاه قلب لا تلين صفاته
	لقامت عليه في المساء نعاته
	تفيض دماً تُجَاجَعُ حَبَابَتِه
	حَدَّثَنِي إِلَيْهَا مِنْ سِنَاكِ حَدَاتِه !
	بنور عيناك انجلت ظلماته
	ولولاك ما ذلّت لها صهواته !
	ولولاك ما اجتيزت لها عقباته
	وما برحت بسامة زهراته ؟
	وما شققت أكامها صبواته ؟
	وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاءه فأنسي وهمي بعله ذكرياته!!
 كأنني بالفرع الجميل على فمي ترف به في نشوة قبلاته!
 كأنني بالفرع الجميل بمنكي تداعبي في عرفها خصلاته!
 كأنني يميناه تحول بفرقي قتلّمها في نشوة شعراته!
 لئن حالت الأيام بيني وبينه وقُلّر المشمل الجميع شتاته
 ففي جنة المأوى غذاً سوف تلقني بفضل كريم لا يُحد هباته
 وإن عزاء القلب إيمانه به وقد فارقه في الحياة حياته
 (ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجد خذوني إلى الحجر الأسود!
 خذوني إلى زمزم عليها تُرد من حوفي الموقيد!
 خذوني لأستار بيت الإله أشدّ بها في ابتهاج يدي
 دعوني أذهب إلى خالقي دعوني أذهب إلى سيدي!
 دعوني أحط على بابهِ يقال الدموع وأستفد
 فإن أحى على لطفه وإن يأتي الموت أستشهد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جراه . يقصد زمزم
 فيكرع من مائها يرضاً ويلهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف
 تجاه الملتزم ويتعلق بسور البيت :

الحمد لله اطمأنّ قلبي ! هاأنذا بين يميني ربي ؟
 إن عظمت مصيبي وخطيبي فالله يرعاني وهو حسبي !

يا رب أنت الواحد القهار وأنت ذو الرحمة والجلال
تفجرت من نورك الأنوار وقصرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضني رب بما حكمتنا
لعلني أجهل ما علمتنا من صالح لي في الذي أقمنا

* * *

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضمّد جروحي منك بالألطف
وآتني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مناي في الدارين (حسناً) اجمع بينها وبينني
في دار خلد بين جنتين أقرر بذاك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمة الإسلام) واقذف بها إلى المقام السامي
حتى ترى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

وَوَحَّدَ (العُرْب) ، فَإِنَّ الْوَحْدَ تَحْيِي لَهَا ماضِيَهَا وَعَهْدَهُ
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ مَجْدَهُ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعْدَهُ

* * *

وَانْظُرْ إِلَى (الْأَحْقَافِ) بِالرَّعَايَةِ وَأَوَّلِهَا بِفَضْلِكَ الْعَنَايَةَ
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةَ فَحَلَّ عَنْهَا الْجَهْلَ وَالْعَمَايَةَ

* * *

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَأَلِّهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

* * *

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ! وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ أَتَمَامِي إِلَيْكَ
مَتَّكِلًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ لَيْسَ بِكَ يَا رَبِّ الْجَلَالَ لَيْسَ بِكَ !

* * *

(سِتَارُ الْخَتَامِ)

للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أخناتون ونفرتيتي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماه
- ٥ - قصر الهودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الجديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - النائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مباحثة وأديب
- ١٩ - حتر شهر زاد

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في المزار
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوحـد
- ٣١ - جلفدان هاتم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر (١٨ جزءاً)
- ٣٥ - جبل الغسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧

الترقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة



الثلث ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
معيد جودة السحار وشر كاه